تفسير

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذكر الفرَّاء[١] والزَّجَّاج[٢] في رفع تنزيل وجهين ؛ أحدهما : الابتداء ، والخبر من الله ؛ أي نزل من عند الله عز وجل ، والثاني : أن يكون رفعه على هذا تنزيل الكتاب فرفعته بإضمار هذا كما قال : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور :١] .

واختار صاحب النظم الوجه الأول ، فقال : هذه الآية فصل بمبتدأ وخبره على أن يكون قوله : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مبتدأ ، وقوله : ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ خبراً له ؛ أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول في الكلام : استقامة الناس من الأنبياء ؛ أي إنها لا تكون إلا من الأنبياء .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٣ .

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد؛ أي ليس هو بباطل[١].

وقال مقاتل: يقول لم ننزله باطلاً لغير شيء[٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ قال أبوإسحاق: فاعبد الله موحداً له لا تشرك به شيئاً[٣]، وقال المبرِّد: الإخلاص لله عز وجل، أن يكون العبد يقصد بنيته وعمله إلى خالقه، لا يجعل ذلك لغرض الدنيا ولا ليحسن عند المخلوقين[٤]. فالمعنى على هذا: مخلصاً لله الطاعة من الرياء يعبده لوجهه.

٣. قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ قال مقاتل: يعني التوحيد[٥]، وقال قتادة: الدين الخالص شهادة ألا إله إلا الله[٦]، والمعنى: أن الدين الخالص من الشرك هو، له وما سواه من الأديان فليس [بدين[٧]] الذي أمر به.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ قال ابن عباس: يريد أنداداً[٨]، قال مقاتل: يعني الآلهة[٩]، وقال الفرَّاء: هي الأصنام[١٠]، وخبر الذين محذوف،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٦٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٣.

(٤) لم أقف على قول المبرِّد هذا.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٦٩.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: تفسيره ١٢/ ١٩١، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة، انظر: تفسير الماوردي ٥/ ١١٤، ونسبه البغوي: لقتادة، انظر: تفسيره ٧/ ١٠٧.

(٧) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب [بالدين أو بدينه].

(٨) قال في تنوير المقباس ٤٥٨: أرباباً اللات والعزى ومناة.

(٩) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٦٩.

(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٤.

وفي الكلام دليل عليه المعنى [يقول[١]] ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله ، ذكر ذلك الزَّجَّاج والفرَّاء ، قال الزَّجَّاج : المعنى يقولون لمن يقول لم تعبدونهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى[٢] .

قال قتادة : إلا ليشفعوا لنا إلى الله[٣] .

وقال مقاتل : إلا ليقربونا إلى الله منزلة فيشفعوا لنا[٤] ، ونحو ذلك ، قال السدي[٥] .

وقال ابن عباس وابن زيد : زلفى : قربى[٦] .

وأصل الزلفى في كلام العرب : القربى[٧] وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله : ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود:١١٤] وفي مواضع . وتقدير الآية : إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ، فوضع زلفى موضع المصدر ، وذلك التقريب الذي عنوا هو الشفاعة ، كما حكينا عن المفسرين[٨] .

---

(١) كذا في (أ) و(ب) وهو تصحيف والصواب [يقولون] ، وهي كذلك عند الزَّجَّاج ٤/ ٣٤٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤ .

(٣) أخرج ذلك الطبري : عن قتادة . انظر : تفسيره ١٢/ ١٩١ ، ونسبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٠/ ١ب ، وكذلك نسبه الماوردي في تفسيره لقتادة ، انظر : ٥/ ١١٤ . ونسبه البغوي لقتادة ، انظر : تفسيره ٧/ ١٠٨ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٦٩ .

(٥) أخرج ذلك الطبري : عن السدي . انظر : : تفسيره ١٢/ ١٩٢ ، وذكر ذلك الماوردي في تفسيره ٥/ ١١٤ عن السدي ، ونسبه ابن كثير في تفسيره ٦/ ٧٨ للسدي .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٤٥٨ ، وأخرج الطبري قول ابن زيد . انظر : تفسيره ١٢/ ١٩٢ ونسبه الماوردي : في تفسيره لابن زيد ، انظر : ٥/ ١١٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (زلف) ١٣/ ٢١٣ ، واللسان (زلف) ٩/ ١٣٨ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ١٩١ ، والبغوي ٧/ ١٠٨ ، و ابن كثير ٦/ ٧٨ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ قال : قريش يقولونه للأوثان ، ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى ولعُزَيْز[١] ، يعني : أن كل هؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره من صنم أو ذي روح . قال : وهذا القول يدل على أن كل هؤلاء الذين ذكرهم مجاهد ، قد دخلوا في قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ [قوله][٢] في ما بعد : ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا﴾ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ من أمر [الذين][٣] كل يقول الحق ديني فهم مختلفون ، وهم الفرق المخالفة لدين الإسلام يحكم الله بينهم يوم القيامة ، ويعذب كلاً على قدر استحقاقه كما حكم ، ثم أخبر أنه لا يهدي هؤلاء ، فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ ، قال ابن عباس[٤] ومقاتل[٥] : لا يرشد لدينه كاذباً ولا كفاراً ، قال صاحب النظم : قوله ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ متصل بقوله : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ على الرد له ، وقوله : ﴿كَفَّارٞ﴾ متصل بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ على الرد له فجعل -عز وجل- قوله : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كذباً وجعل اتخاذهم من دونه وليّاً كفراً .

وقال أهل المعاني : هذا في من سبق عليه القضاء بالكفر والتكذيب وحرمان الهداية[٦] .

٤. قوله تعالى : ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ﴾ ؛ أي كما يزعم الذين نسبوا إلى الله اتخاذ الولد ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ، (ما) هاهنا

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٩١ عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ٥٧٧ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (وقوله) .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (الدين) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٥٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٦٩ .

(٦) لم أقف عليه .

بمعنى : (من) ثم أعلم أنه مُنزَّه عن اتخاذ الولد ، فقال : ﴿سُبۡحَـٰنَهُۥ﴾ ؛ أي تنزيهاً له عن ذلك .

وأهل التفسير أجروا الآية على ظاهرها ، كما هي [على المعول[1]] ومقاتل ابن[2] سليمان خصص قوله : ﴿مِمَّا يَخۡلُقُ﴾ بالملائكة ، واعتبر هذا بقوله : ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء :١٧] ، فقال : لاختار مما يخلق من الملائكة فإنهم أطيب وأطهر[3] .

قوله : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ لاشريك له ولا ندَّ له ولا صاحبة ولا ولد ، قاله ابن عباس[4] ، القهار لخلقه قهر ما خلق بالموت وهو حي لا يموت .

ثم بيَّن ما يدل على توحيده بما خلق مما يعجز عنه المخلوقين ، فقال :

٥. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : لم يخلقهما باطلاً لغير شيء[5] . ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ قال أبو عبيدة[6] وابن قتيبة[7] : يدخل هذا على هذا ومنه كور العمامة ، وقوله : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير :١] ؛ أي جُمِعت ولُفَّت ، ومعنى التكوير في اللغة : طرح الشيء بعضه على بعضه ، يقال : كوَّرت الحائط إذا طرحته حتى

---

(١) كذا في (أ) و(ب) .

(٢) في (أ) : (وسليمان) وهو تصحيف .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٦٩ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف على نسبته لابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٠ .

(٦) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٨ .

(٧) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨٢ .

يسقط أبو عبيدة عن الأصمعي طعنه، وكوّره[١] وحوّره إذا صرعه، قال أبو كبير:

مُتَكَوِّرِينَ على المهاري بينهم ضَربٌ كَمِعْطيطِ المزَادِ الأَنْجَلِ[٢]

يقال: كوَّره فتكوَّر، وأراد بالمعاري الركب في رؤوس العظام التي تعرى من اللحم يقال لها: المعارى، وكوَّر المتاع: إذا ألقى بعضه على بعض، فمعنى يكوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل: يلقي أحدهما على الآخر بأن يدخله عليه كما قال: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [لقمان:٢٩، فاطر:١٣، والحديد:٦].

والمفسرون ذكروا في هذه الآية ما ينبئ عن معنى التكوير لا عن تفسيره، قال ابن عباس في رواية عطاء: يخرج الضوء من الظلمة، ويخرج الظلمة من الضوء[٣].

وقال مقاتل: يسلط هذا على هذا وذاك على هذا[٤]، وقال مجاهد: ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدهور[٥]. وقال قتادة: هو غشيان أحدهما الآخر[٦].

---

(١) لفظها في تهذيب اللغة فكوَّره وجوَّره (كار) ١٠/ ٣٤٦.

(٢) ورد البيت في تهذيب اللغة (كار) ١٠/ ٣٤٧ لكن بلفظ: كتعطاط المزاد الأنجل، وكذلك ورد في اللسان (كور) ٥/ ١٥٧ كرواية تهذيب اللغة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٠.

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٩٣ عن مجاهد، ونسبه الثعلبي لمجاهد. انظر: تفسيره ١٠/ ١ب، وانظر: تفسير مجاهد ٥٧٧، وتهذيب اللغة (كار) ١٠/ ٣٤٦.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: تفسيره ١٢/ ١٩٣، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١/ ب، وعبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١٧١ لقتادة.

وقال الكلبي : يزيد من الليل في النهـــار ويزيد من النهار في الليل[١] . وهذا بعيد ؛ لأنه ليس المراد من التكوير الزيادة والنقصان .

وقال المؤرج : يدخل هذا على هذا[٢] .

وقوله : ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ مفسرين في مواضع[٣] .

قوله تعالى : ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس[٤] والمفسرون : يريد إلى الأجل الذي وقَّت الله الدنيا إليه ، يعني يوم القيامة[٥] .

وقال الكلبي : يســيران إلى أقصى منازلهما ، ثم يرجعــان إلى أدنى منازلهما لا يجاوزانه[٦] .

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه . ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لأهل طاعته وأوليائه .

٦. قوله تعالى : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال المفسرون : يعنـــي آدم[٧] ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال الفـــرَّاء والزَّجَّاج[٨] : المعنى خلقكـــم من نفس خلقها واحدة ثم جعل منهـــا زوجها ؛ لأن خلقها كان بعد خلق الزوج فهي واحدة معنى خلقها واحدة ، وقال ابن زيد :

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١ب عن الكلبي ، ونسبه السمرقندي في تفسيره ٣/ ١٤٤ للكلبي .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن المؤرج ، انظر : ١٠/ ١ب .

(٣) انظر : تفسير سورة الرعد ٢ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) قال الطبري ١٢/ ١٩٣ إلى قيام الســاعة ، وقال الســمرقندي ٣/ ١٤٤ : يقال إلى يوم القيامة ، وقال القرطبي ١٥/ ٢٣٥ : إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة .

(٦) ذكر ذلك القرطبي ونسبه للكلبي . انظر : الجامع ١٥/ ٢٣٥ .

(٧) ذكر ذلك الطبري ١٢/ ١٩٣ . وانظر : تفسير الماوردي ٥/ ١١٥ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٠٨ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٥ .

خلقنا أولاً في ظهـــر آدم[١] ، يدل عليه الحديث المرفوع ، وهو : أن الله تعالى أخرج ذرية[٢] آدم من ظهره يـــوم الميثاق[٣] ، ثم خلق بعد ذلك حواء وهو قولـــه : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء خلقها من قصيرى[٤] آدم .

قوله تعـــالى : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ قال صاحب النظم : إنما جـــاز في الأنعام الإنزال ؛ لأنها لا تقوم إلا بالنبـــات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ، وهو -عز وجل- نزل الماء من السـماء[٥] ، ومثله قولـــه : ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعـراف ٢٦] ، وهو -عـــز وجل- لم ينـــزل اللباس ، ولكن اللبـــاس من القطن والصـــوف ولا يكونان إلا بالماء ، ونحو هذا قـــال أبو علي : الإنزال هاهنا بمعنى الإنشاء والإحداث[٦] ، وهذا مما تقدم[٧] القول فيه .

قال مقاتـــل : وجعل لكم من الأنعام ثمانيـــة أزواج ؛ الذكر والأنثى من كل جنس من النعم[٨] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (ب) : (آدم به آدم) ، وهو تصحيف .

(٣) الحديـــث أخرجه الإمام أحمد عـــن ابن عباس قال : أخذ الله الميثاق من ظهـــر آدم بنعمان يعني : عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنثرهم بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلاً . . انظر : مسند الإمام أحمد ١/ ٢٧٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ١٩٤ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٥٧١ .

(٥) انظر : فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٣٦٦ .

(٦) انظر : الحجة لأبي علي ٣/ ٤١٨ .

(٧) انظر : [الأنعام :١٤٣] .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٠ .

قال أبوإســحاق : يقال للذكر والأنثى من كل جنس من النَّعم زوجان ، وكل واحـد منهما يقال لـه زوج[١] ، وتفصيل هـذه الأزواج مذكور في سـورة الأنعام [آية :١٤٣] .

قوله : ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ نطفاً ثم علقاً إلى أن يخرج من بطن أمه ، وهذا قول جميع المفسرين[٢] .

وقال ابن زيد : من بعد خلق يعنـي من بعد أن خلقنا في ظهر آدم والخلق في بطون الأمهات بعد ذلك الخلق[٣] ، ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ قال ابن عباس والجميع : يريد ظلمة [المشيمة[٤]] وظلمة البطن وظلمة الرحم[٥] ، وخالف سعيد بن جبير فجعـل مكان ظلمة البطن ظلمة الليل[٦] ، وحكى الزَّجَّاج[٧] وأبو عبيدة[٨] : في الأصلاب والبطن والرحم[٩] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٥ .

(٢) انظر : تفسـير الطبري ١٢/ ١٩٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٢أ ، وتفسـير الماوردي ٥/ ١١٥ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٠٩ .

(٣) أخرج ذلك الطبري : عن ابن زيد . انظر : تفسـيره ١٢/ ١٩٥ ، ونسـبه الثعلبـي لابن زيد . انظر : تفسـيره ١٠/ ٢أ ، ونسبه ابن الجوزي في تفسيره لابن زيد . انظر : زاد المسير ٧/ ١٦٣ ونسبه القرطبي لابن زيد . انظر : الجامع ١٥/ ٢٣٦ .

(٤) في (أ) و (ب) كتبت [المشهه] ، وهو تصحيف . والصحيح : المشيمة .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك والسـدي ١٢/ ١٩٦ ، ونسبه الماوردي لابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة ، انظر : تفسـير الماوردي ٥/ ١١٥ ، ونسـبه القرطبي لابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٣٦ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي عن سعيد بن جبير . انظر : الجامع ١٥/ ٢٣٦ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٥ .

(٨) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٨ .

(٩) والقول الأول أصح ؛ لأن نص الآية في بطون أمهاتكم والأصلاب ليست في البطون .

قوله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ قال مقاتل وغيره : ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء ، ودبَّر هذا التدبير هو ربكم[١] ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ قال ابن عباس : يقول فكيف تصرف عقولكم إلى أن تجعلوا الحجارة وغير ذلك من خلقه له أنداداً وشركاء[٢] ؟ وقال أبو إسحاق : المعنى فمن أين تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل[٣] ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام :٩٥ ، يونس :٣٤ ، فاطر :٣ ، غافر :٦٢] .

٧. قوله تعالى : ﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾ قال مقاتل : إن تكفروا يا أهل مكة ، فإن الله غني عن عبادتكم[٤] : وذكر ابن عباس في هذه الآية ما روي أن الله تعالى يقول : لو أن أهل السموات والأرض أطاعوني وآمنوا بي ، ما زاد ذلك في ملكي مثقال ذرة ، وأنا غني عن عبادة من جحدني[٥] .

وقوله : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ في تفسير هذا طريقان ؛ أحدهما : التخصيص ، قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد لا أرضى لأوليائي وأهل طاعتي وخيرتي من خلقي الكفر[٦] ، وقيل في رواية علي : هم عباده المخلصون الذين قال : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر :٤٢] ، فألزمهم شهادة ألا إله إلا

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧١ ، والسمرقندي ٣/ ١٤٥ ، والقرطبي ١٥/ ٢٣٦ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧١ .

(٥) لم أقف عليه ، وقد ورد بهذا المعنى الحديث القدسي في صحيح مسلم عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ في ما روى عن الله -تبارك وتعالى- أنه قال : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي . . وفيه يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . . . .»
انظر : صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٣/ ١٩٩٤ .

(٦) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٣/ ٥٧٢ .

الله وحبَّبها إليهم[١] ، وقال السـدي : لا يرضى لعبـاده المؤمنين أن يكفروا[٢] ، الثاني : أن هذا للعموم والله -تعالى- لا يرضى الكفر لأحد[٣] ، وكفر الكافر غير مرضٍ لله تعـالى وإن كان بإرادته ، والإرادة[٤] غير الرضى ألا ترى أن الواحد منا يريد الشيء ولا يرضى به ؛ لأن الرضى بالشيء طيب القلب به ومن الله تعالى المدح على ذلك بالشيء والثناء[٥] ، والله مريد لكفر الكافر غير راضٍ به ؛ لأنه لا يمدحه ولا يثني عليه .

---

(١) أخرج ذلك الطبري من رواية علي عن ابن عباس انظر : تفسيره ١٢/ ١٩٧ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن عباس انظر : ١٠/ ٢أ ، ونسبه القرطبي لابن عباس انظر : الجامع ١٥/ ٢٣٦ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن السـدي . انظر : تفسيره ١٢/ ١٩٧ ، ونسبه الثعلبي للسدي ، انظر : تفسيره ١٠ :/ ٢أ ، وكذلك نسبه البغوي في تفسيره لابن عباس والسدي ، انظر : ٧/ ١٠٩ ، ونسبه القرطبي لابن عباس والسدي ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٣٦ .

(٣) ذكر القولين الطبري في تفسيره ١٢/ ١٩٧ ، والبغوي ٧/ ١٠٩ ، وابن عطية ١٤/ ٦٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٦٤ .

(٤) قـال في شرح الطحاوية : وأما أهل السـنة فيقولون إن الله وإن كان يريد المعـاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويسـخطها ويكرهها وينهى عنها . وهذا قول السـلف قاطبة فيقولون : ما شـاء الله كان وما لم يشـأ لم يكن . . والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعـان : إرادة قدرية كونية خلقية ، وإرادة دينية أمريـة شرعية ؛ فالإرادة الشرعية : هي المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية : هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث .
انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٧٩ .

(٥) قال الشـيخ محمد خليل هراس في شرح العقيدة الواسطية : ومحبة الله -عز وجل- لبعض الأشخاص والأعمال والأخـلاق صفة له قائمة به ، وهي مـن صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشـيئته ، فهو يحب بعض الأشـياء من دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة ، وينفي الأشـاعرة والمعتزلة صفة المحبـة بدعوى أنها توهم نقصاً . إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسـبه أو يسـتلذه ، فأما الأشـاعرة فيرجعونها إلى صفة الإرادة فيقولون إن محبـة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته ، وكذلك يقولون في صفات الرضى والغضب والكراهية والسخط كلها عندهم بمعنى إرادة الثـواب والعقاب . . . وأما أهل الحق فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله -عز وجل- على ما يليق به ؛ فلا تقتض عندهم نقصاً ولا تشـبيهاً ، كما يثبتون لازم تلك المحبة وهي إرادته -سبحانه- إكرام من يحبه وإثابته . انظر : شرح العقيدة الواسطية ٥٣ .

قوله : ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ قال الفرَّاء والزَّجَّاج : يرضى الشكر لكم[(١)] ، ودلَّ الفعـــل على المصدر كما قــــال : ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمــران :١٧٣] وقد مر ، واختلف القراء في (يرضه) ، فمنهم من أشبع الهاء حتى ألحق بها واواً ؛ لأن ناقل الهاء متحرك فصار بمنزلة ضربه وله ، فكما أن هذا مشبع عند الجميع كذلك يرضه ، ومنهم من حوَّل الهـــاء ولم يلحق الواو ؛ لأن الأصل يرضـــاه والألف المحذوفة للجزم ليس يلـــزم حذفها ؛ لأن الكلمة إذا نصبت أو رفعت عادت الألف ، وإذا ثبتت الألف كان الأحســـن أن لا تلحق الواو كقوله : ﴿عَصَاهُ﴾ [الشـعراء :٤٥] ، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقـه :٣٠] ، وذلك أن الهاء خفيفة فلو ألحقهـــا الواو قبلها الألف أشبه الجمع بين الساكنين ، فأما من أسكن الهاء فإن أبا الحسن يزعم أن ذلك لغة ، فعليها يحمل ولا يحمل على إجراء الوصل مجرى الوقف[(٢)] ، وقد تقدم الكلام في مثل هذا في سورة آل عمران [آية :٧٥] وباقي الآية في ما مضى تفسيره[(٣)] .

٨. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يريد عتبة بن ربيعة وأبا حذيفة بن المغيرة[(٤)] . ﴿ضُرٌّ﴾ بلاء وشدة وفقر أو مرض .

﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه من شركه موحداً له .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٦ .

(٢) انظر : الحجة : للقراء السبعة :٦/ ٩١ ، ٩٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦١٩ .

(٣) في سورة الأنعام [آية :١٦٤] .

(٤) قال البغوي : قيـــل نزلت في عتبة بن ربيعة ، وقال مقاتل نزلـــت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وقيـــل عام في كل كافر . تفســـير البغـــوي ٧/ ١١٠ . وقال ابن الجوزي : اختلـــف في من نزلت على قولين ؛ أحدهما : في عتبة بن ربيعة قاله عطاء ، والثاني : في أبي حذيفة بن المغيرة قاله مقاتل . زاد المسير ٧/ ١٦٥ . انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧١ ، ولم أقف على نسبه لابن عباس .

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ قـال ابن عبـاس : يريد [غنـاه][١] وأنعم عليه بالصحة[٢] .

وقال مقاتل : أعطـاه الله الخير[٣] ، وقال أبو عبيـدة : كل شيء أعطيته فقد خولته ، وأنشد قول أبي النجم :

كُومَ الذُّرَى مِنَ خَوَلِ المخَوِّلِ[٤]

والخول ما أعطي الإنسان من العبيد والنعم .

قولـه : ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ قـال عطاء عن ابـن عباس : ترك التوحيد والتضرع إليه[٥] .

وقال الكلبي : يقول نسي ربه[٦] ، وذكر الفرَّاء ثم أبو إسـحاق هذا القول ، فقال الفرَّاء : نسي دعاء الله من قبل[٧] .

وقال أبو إسحاق : نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله من قبل[٨] ، وذكر وجهاً آخر قال الفرَّاء : يقول ترك الذي كان يدعوه إذا مسه الضر يريد الله تعالى ،

---

(١) كذا رسمها ولعل الصواب [أغناه] .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧١ .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٨ ، وتفسير الطبري ١٢/ ١٩٩ ، وتهذيب اللغة (خال) ٧/ ٥٦٤ واللسـان (خول) ١١/ ٢٢٥ . وهو يمدح إنساناً أنه أعطى من سـأله النوق السمينة العالية السنام . والذرا : جمع ذروة وهـو أعلى الشيء وهي مما خوَّله الله ومنحه ، وكان عطاؤه كثيراً ، فلم يبخل به ولم ينسبه أحد إلى البخل .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٥ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٦ .

قال: و (ما) قد تكون في موضع ﴿مَن﴾؛ كقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣] يعني الله تعالى، وقال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾[١] [النساء:٣]، ونحو هذا قال أبو إسحاق: وجائز أن يكون معناه نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل[٢].

والوجه الأول معنى قول ابن عباس والباقي معنى قول الكلبي[٣]، وفيه وجه آخر وهو: أن يكون المعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه، وهذا عندي أجود الوجوه، والوجهان الأولان فيهما استكراه وبُعد؛ لأن تصحيح الوجه الأول أن تقول تقديره نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله، ففيه سيا[٤] جعل الدعاء بمعنى التضرع، والوجه الثالث: سلم من هذه المجازات[٥].

قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال ابن عباس: شركاء[٦]، يريد أنه يراجع عبادة الأوثان ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ليزل عن دين الله الإسلام، ﴿قُلْ﴾ لهذا الإنسان ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: يريد متاع الدنيا قليل[٧]، قال مقاتل: قليلاً في الدنيا إلى أجلك[٨]، قال الفرَّاء: هذا تهدد وليس بأمر محض، وكذلك

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٦.

(٢) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٦.

(٣) ذكر ذلك الماوردي: في تفسيره عن الكلبي. انظر: ٥/ ١١٦.

(٤) في (أ) و(ب): (سيا).

(٥) ذكر الأقوال الثلاثة ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٦٥، والشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٥٢

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧١.

﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[١] [النحل :٥٥ ، الروم :٣٤] ، فقال الزَّجَّاج : لفظه لفظ الأمر ومعناه التهدد والوعيد[٢] ، وكذلك قال المبرِّد[٣] .

قوله : ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ يريد أن مصيرك إلى النار قاله ابن عباس[٤] .

٩. قوله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ قرئ : بالتخفيف والتشديد ، واختلف أهل المعاني في توجيه القراءتين ، واختار أبو عبيدة التشديد ، قال : ومعناها عند أهل العلم هذا أفضل أم من هو قانت على تأويل أم الذي هو قانت ، كذلك هو في التفسير ، ولا يكون على هذا بالتشديد ، هذا كلامه[٥] ، وهذا قول أبي علي في وجه هذه القراءة ، وشرحه فقال : الجملة التي قد عادلت أم قد حذفت ، والمعنى : الجاحد الكافر خير أم الذي هو قانت ، ودلَّ على الجملة المحذوفة المعادلة لأم ما جاء بعد من قوله سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ودلَّ عليه أيضاً من قبل قوله : ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ الآية ، ومثل حذف الجملة المعادلة لأم للدلالة عليها من الفحوى قوله : ﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٦] [ص :٦٣] ، وقد مر آنفاً نحو هذا .

قال الفرَّاء في قراءة من شدد : والأصل أم من فأدغمت الميم في الميم[٧] ، وعلى قول هؤلاء هي أم التي في قولك : أزيد أفضل أم عمرو ، واعترض المبرِّد على أبي

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٦ .
(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٦ .
(٣) لم أقف عليه .
(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٥٩ .
(٥) لم أقف على اختيار أبي عبيد انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢٠١ ، والكشف لمكي ٢/ ٢٣٧ ، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجلة ٦٢٠ .
(٦) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ٩٢ .
(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٧ .

عبيد ، فقال : أم هاهنا هي المنقطعة ؛ كقولك إنها لا بل أم شاء ، وليس على ما قال القسم ؛ لأن أم التي تعاقب الألف لابد من أن تكون الألف قبلها على معنى أنها ، وذلــك قولك أزيد أفضل أم عمرو . والجواب في هذا أن يذكر أحدهما ولا يكون جوابه لا ولا نعم[1] ، وأما أم المنقطعة فإنها تخرج من كلام كقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجده :٣] ، فإنما هو لترك قصة ، إلى قصة وكذلك : ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخـرف :١٦] ؛ أي بل اتخذ وتقدير قولــه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بل الذي هو قانت أفضل وأسعد أم الذي قيل له : تمتع بكفرك ، وأما ما ذكر من التفسير الذي يوجب التشـــديد فلا أعرفه . ونحو هذا قال أبو إسحاق فقال : أمَّن معناه بل أمن هــو قانت كغيره ؛ أي أمن هو مطيع كمن هو عاصٍ[2] ، وكلا المذهبين قريب من السواء ؛ لأنه لابد من تقدير محذوف .

وفي المذهــب الأول يقدر محذوفاً يعطف عليه بــأم ، وفي المذهب الثاني يقدر محذوفــاً بعد أم ، وأما من قرأ بالتخفيف فإن الفرَّاء ذكر فيه وجهين ؛ أحدهما : أن الألف في أمن للنداء بمنزلة يا من وهذا وجه حســن ، والعرب تدعو بالألف كما تدعو (بيا) ، فيقولون : يا زيد أقبل وأزيد أقبل ، وأنشد :

أبني لبينى لستم بيد[3]

---

(١) انظر : المقتضب للمبرِّد فقد ذكر معنى (أم) ٣/ ٢٨٦ ، ٤/ ١٢٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٤٧ .

(٣) البيت لأوس بن حجر . وعجزه :

إلا يد ليست لها عَضُدُ

انظر : ديوانه ٢١ ، والشـــاهد من البيت أن العرب تنادي بالهمزة كما تنادي بيا . ولبينى : اسم امرأة . وبنو لبينى من أســد بن وائلة ، يعيرهم بأنهم أبناء أمة إذ ينسبهم إلى الأم تهجيناً لشأنهم وأنهم هجناء . لستم بيد ؛ أي أنتم في الضعف وقلة النفع كيد بطل عضدها ، وقد استشهد بالبيت الطبري في تفسيره ١٢/ ٢٠١ ، وسيبويه في الكتاب ٢/ ٣١٧ والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ٥ .

يريـــد يا بني لبيني . قال : ويكـــون المعنى أنه ذكر النـــاسي الكافر ، ثم قصَّ قصة الصالح بالنداء كما تقول في الكلام : فلان لا يصوم ولا يصلي فيا من يصوم ويصلي أبشر ، الوجه الثاني : أن الألف للاســـتفهام بمنزلة أم ، ويكون المعنى : أم من هو قانت كمن[(١)] كالأول الذي ذكر بالنســـيان والكفر[(٢)] ، وهذا الاستفهام إنكار ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج[(٣)] وأبو علي[(٤)] والمبرِّد[(٥)] .

قال الزَّجَّاج : تأويله أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل لله أنداداً[(٦)] .

وقال المبرِّد : ومن قرأ بالتخفيف استأنف ولم يأت بأم التي هي آية الإصرار ، كأنه قال الذي هو قانت كهؤلاء وجواب الاســـتفهام محذوف لدلالة ما قبله وما بعده[(٧)] عليه .

وقال أبو علي منكراً قول الفرَّاء : إن الألف بمنزلة ياء من خفف ، كأن المعنى أمن هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف ولا وجه للنداء هنا ؛ لأن هذا موضع معادلة وليس النداء مما يقع في هذا الموضع إنما يقع في مثل هذا الموضع الجمل التي تكون إخباراً وليس النداء كذلك ، ويدل على المحذوف هنا قوله :﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ لأن التســـوية لا تكون [إلا[(٨)] بين شيئين وفي جملتين . من أخبر] فالمعنى أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله .

---

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفرَّاء بدل : (كمن) لفظة (خفيف) ٢/ ٤١٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٧ .

(٤) انظر : الحجة : لأبي علي ٦/ ٩٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٧ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) كذا في (أ) و(ب) . وفي الحجة : (لاتكون بين شيئين وفي جملتين في الخبر) . انظر : الحجة ٦/ ٩٣ .

قال أبو إســحاق : والقانت المطيع المقيم على الطاعة القائم بما يجب عليه من أمر الله[(١)] .

قــال ابن عباس في رواية عطاء : أمن هو قانــت يريد طائعاً لله ، وهو أبوبكر الصديق رضي الله عنه[(٢)] .

وقال ابن عمر : ذاك عثمان بن عفان[(٣)] .

وقال مقاتل : بل هو عمار بن ياسر[(٤)] .

وقوله : ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ مضى تفسيره .[(٥)]

قوله تعالى : ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ مرة[(٦)] ؛ أي هو مطيع في الحالين .

قوله : ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ قال مقاتل : يحذر عذاب الآخرة[(٧)] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٤٧ .

(٢) ذكر ذلك الماوردي عن ابن عباس لكن من رواية الضحاك ، انظر : تفسـيره ٥/ ١١٧ ، وذكره المؤلف في أســباب النزول ٣٣٨ من دون ســند ، وتفسير الوســيط ٣/ ٥٧٣ والبغوي في تفسيره ٧/ ١١٠ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٣٩ .

(٣) أخرج ذلك المؤلف عن ابن عمر في تفسيره الوسيط ٣/ ٥٧٣ ، وذكره أيضاً في أسباب النزول من دون سند ٣٨٨ ، وذكره البغوي في تفسيره ٧/ ١١١ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٣٩ .

(٤) في (أ) و(ب) : (يســار) ، وهو تصحيف . والصحيح (ياسر) ، كما ســيأتي في الكلام التالي . وهو في المصادر التالية أثبتنا : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٢ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١١٧ ، وأسباب النزول للمؤلف ٣٨٨ ، وتفسير الوسيط للمؤلف ٣/ ٥٧٤ ، وزاد المسير ٧/ ١٦٧ ، والجامع للقرطبي ١٥/ ٢٣٩ .

(٥) انظر : سورة عمران ١١٣ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ولعل المعنى (ساجداً مرة وقائماً مرة) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٣٧٢ .

﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ قـال ابن عبـاس ومقاتل : يعني الجنة لمن يعقل ليسـوا سواء[١] .

قوله تعـالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قـال مقاتل : الذين يعلمـون أن ما وعد الله من الثواب والعقاب حق يعنـي عمار بن ياسر ، والذين لايعلمون ذلك أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي[٢] ، ونحو هذا قال الكلبي ، قال : نزلت في عمار بن ياسر وفي مواليه بني مخزوم[٣] .

وقال أبوإسـحاق : أي هل يستوي العالم والجاهل وكذلك لا يستوي المطيع والعاصي[٤] ، وعلى هذا ضرب العـالم والجاهل مثلاً للمطيع والعاصي ، والقول هـو الأول . قولـه : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ؛ أي إنـما يتعـظ ذوو العقول كعمار بن ياسر ودونه من المؤمنين ، فأما الجاهل الكافر فإنه لا يتعظ ولا يرتدع .

١٠. قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ؛ أي صدقوا بتوحيد الله . ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ بطاعته واجتناب معصيته ، قال ابن عباس : يريد جعفر بن أبي طالب وأصحابه الذين خرجوا معه[٥] إلى أرض الحبشة[٦] .

---

(١) لم أقف على نسبته لابن عباس انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٣٧٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٣٧٢ .

(٣) ذكر الماوردي في تفسـيره عن الكلبي أنها في عمار بن ياسر ، انظر : تفسـيره ٥/ ١١٧ ، وكذلك ذكره البغوي عن الكلبي . انظر : تفسيره ٧/ ١١١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٧ .

(٥) (معه) ساقطة من (ب) .

(٦) ذكر ذلك القرطبي في الجامع عن ابن عباس . انظر : ١٥/ ٢٤٠ ، وذكره المؤلف في تفسـيره الوسـيط ٣/ ٥٧٤ .

وتم الكلام[(١)] ثم قال : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قال ابن عباس : وحدوا الله[(٢)] . وقال مقاتل : أحسنوا العمل في هذه الدنيا[(٣)] .

قوله تعالى : ﴿حَسَنَةٌ﴾ قالا[(٤)] : يريد الجنة كقوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس :٢٦] ، وعلى هذا قوله : ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ ظرف لإحسانهم وهو عملهم توحيدهم .

وقال السدي : معنى الحسنة هاهنا : الصحة والعافية يقول لهم في هذه الدنيا الصحة والعافية[(٥)] ، وعلى ما قال في هذه الدنيا ظرف للحسنة لا للإحسان ، والقول هو الأول ؛ لأن المحسن بالتوحيد والأعمال الصالحة وعد الأجر في الآخرة لا في الدنيا ، وأما نعمة الدنيا من الصحة والمال ، فإنها تسيغ للكافر ولا تحلو للمؤمن دنياه .

قوله : ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ قال ابن عباس : يريد ارحلوا من[(٦)] مكة وهذا حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون .

وقال الكلبي : ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ يعني : المدينة[(٧)] واسعة آمنة ، فخصَّ الأرض هاهنا بالمدينة ، والظاهر أنها غير مختصة بها على ما ذكر ابن عباس ؛ لأن

---

(١) انظر : المكتفى في الوقف والابتداء ٤٨٧ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٢ .

(٤) لم أقف على نسبته لابن عباس ، انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٢ .

(٥) أخرجه الطبري عن السدي . انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٣ . وذكر ذلك الثعلبي عن السدي . انظر : تفسيره ١٠/ ٣ب ونسبه الماوردي للسدي ، انظر : تفسيره ٥/ ١١٨ ، ونسبه البغوي للسدي ، انظر : تفسيره ٧/ ١١١ .

(٦) ذكر ذلك المؤلف في تفسير الوسيط عن ابن عباس ، انظر : ٣/ ٥٧٤ ، ونسبه البغوي في تفسيره : لابن عباس . انظر : ٧/ ١١١ ، وذكر ابن الجوزي القول ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٧/ ١٦٨ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٤٥٩ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٦٧٢ .

جعفراً وأصحابه لم يهاجروا إلى المدينة ، ولو كان المراد بالأرض الواسعة المدينة لهاجروا إليها ولكنها على الإطلاق الذي ذكر .

قال أبو إسحاق : وإنما ذكرت سعة الأرض هاهنا لمن كان يحابي الذي يعبد الأصنام ، فأمر بالمهاجرة عن البلد الذي يكره فيه على عبادتها كما قال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء :٩٧][١] .

قوله : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال ابن عباس : يريد الصابرين على دينهم[٢] ، يقول سيكرمون في الآخرة بما لا يهتدي إليه عقل عاقل ولا وصف واصف ، ولا يهتدي إليه حساب الحاسب ولا يعرف .

قال أبو إسحاق : أي من صبر على طاعة الله أعطي أجره بغير حساب[٣] ، فمعنى ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا على توحيد الله وطاعته وقاسوا البلاء ولم يفارقوا دينهم ، كجعفر وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم حين اشتد عليهم الأمر صبروا وهاجروا ، وقال الكلبي : الصابرون على المرازي[٤] ، والقول الأول هو الذي يليق بسياق الآية ، قوله : ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال الكلبي : يصب عليهم الرزق في الجنة صبّاً[٥] ، وقال أبو إسحاق : جاء في التفسير بغير مكيال ولا ميزان ، وهذا وإن كان الثواب وما يتنعم به الإنسان من اللذة والسرور والراحة لا يقع عليه كيل

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٤٧ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٤٨ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٥٩ . قال الليث : يقال مارزأ فلان فلاناً شيئاً ؛ أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا انتقص منه . قال : والرُّزْء : المصيبة ، والاسم الرزيئة والمرزئة وفلان قليل الرَّزْءِ للطعام ، وقد أصابه رَزْءٌ عظيمٌ ، وجمعه أَرْزَاءْ . انظر : تهذيب اللغة (رزأ) ١٣/ ٢٤٩ .

(٥) ذكر نحوه القرطبي في الجامع ١٥/ ٢٤١ ، ونسبه للحسين بن علي رضي الله عنهما .

ولا وزن ، فإنه يمثل ما يعلم بحسابه القلب ومما يدركها بنظر فيعرف مقدار القلة من[١] الكثرة .

١١ـ١٢ . قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾ قال مقاتل : إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ : ما يحملك على الذي أتيتنا به ، ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها ؟ فأنزل الله عز وجل : قل يا محمد إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين[٢] ، إني أمرت أن أعبده على التوحيد والإخلاص لا يشوب عبادتي شرك ، وأمرت لأن أكون أول المؤمنين ، قال صاحب النظم : زيدت اللام في قوله لأن أكون ؛ لأن التأويل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت بذلك لأن أكون أول المسلمين ؛ أي إذا عبدته مخلصاً له الدين ، كنت أول المسلمين في الجزاء والثواب ، فيكون دخول اللام في قوله [كان[٣]] دليلاً على هذا الإضمار ، وعلى ما ذكره هذا اللام هي لام أجل[٤] .

١٣ . قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ قال مقاتل : إن عصيت ربي فرجعت إلى دين آبائي[٥] ، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الأنعام . [آية :١٥] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٨ . ولفظها : «فإنه يمثل ما يعلم بحاسة القلب بما يدرك بالنظر . . . .» .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٣٧٢ .

(٣) (كان) ساقطة من (ب) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٤٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٢ .

١٤. قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الآية][1] . بالتوحيد لا أشرك به شيئاً .

١٥. قوله تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ قال ابن عباس[2] ومقاتل وغيرهما : صاروا إلى النار ، وأهليهم من الأزواج والخدم في الجنة ، أهلاً إن أطاعه ، فإذا عصاه ورث ذلك الأهل من أطاع الله ، وهو قول ابن عباس وقتادة[3] ومجاهد .

قال أبو إسحاق : هذا يعني به الكفار فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهليهم ؛ لأنهم لم يدخلوا الجنة مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة[4] .

١٦. وقوله تعالى : ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ ذكر تفسير الظلل في سورة البقرة [آية :٢١٠] ، قال ابن عباس : يريد مثل السقف فيه أصناف العذاب[5] ، وقال مقاتل : يعني أطباقاً من النار تلتهب عليهم[6] ، وهذا كقوله : ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [العنكبوت :٥٥] ، وكقوله : ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ [الأعراف :٤١] الآية .

---

(١) ساقطة من (أ) .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ١٠/ ٤ب ، ونسبه البغوي لابن عباس . انظر : تفسيره ٧/ ١١٢ ، وكذلك نسبه القرطبي لابن عباس ١٥/ ٢٤٣ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٥ ، ونسبه الماوردي لمجاهد ، انظر : تفسيره ٥/ ١١٩ ، وذكر قريباً منه عن قتادة ، وهو بلفظ : خسروا أنفسهم بما حرموها من الجنة وأهليهم من الحور العين الذين أعدوا لهم في الجنة . انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١١٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٤٨ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٣ .

وقوله : ﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌ﴾ قال مقاتل : يعني : مهاداً من النار[١] .

وقال ابن عباس : يريد سقفاً من النار فيه أصناف العذاب[٢] .

قال السدي : وهي لمن تحتهم ظلل ، وهكذا حتى ينتهي إلى القعر[٣] ، وعلى هذا القول سمى ما تحتهم ظلل ؛ لأنه لمن تحتهم ظلل .

وقال صاحب النظم : الظلة لاتقع إلا على ما كان مظللاً من فوق ، ولكنه -عز وجل- أعلم أن النار محيطة بهم ، فجعل النار التي فوقهم ظلل وحاذى بها النار التي من تحتهم ، فأخرجها على لفظ التي فوقهم كما قال : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى :٤٠] وما أشبهها من باب المحاذاة .

قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء ، والمعنى : ذلك الذي وصف من العذاب[٤] وما أعد لأهل الضلال . ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ قال ابن عباس : يريد أولياءه[٥] .

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ قال : يريد يا أوليائي فخافوني ، والمعنى : إن ما ذكر من العذاب معد للكفار ، وهو تخويف للمؤمنين ليخافوه فيخشوه بالطاعة والتوحيد ، ثم أمرهم بذلك فقال : يا عباد فاتقون .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٣ .
(٢) لم أقف عليه .
(٣) ذكره المؤلف في تفسيره الوسيط عن السدي . انظر : تفسير الوسيط ٣/ ٥٧٥ .
(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨ .
(٥) ذكر ذلك القرطبي عن ابن عباس انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٣ .

١٧. وقولــه تعــالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ قــال ابــن عباس والمفسرون : يعني : الأوثان والشيطان[(١)] ، وعبادة الشيطان طاعته .

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ رجعوا إليه بالطاعة .

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ قال ابن عباس : لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة[(٢)] .

١٨. قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال مقاتل : يعني أحسن ما في القرآن من الطاعة[(٣)] .

وقال السدي : يتبعون القول أحسن ما يؤمرون فيعملون به[(٤)] ، والقول على هذا التفسير القرآن ، وقال قتادة : أحســـنه طاعة الله[(٥)] ، وعلى هذا القول كل[(٦)] يقال فيتبعون مافيه طاعة الله .

قال ابــن عباس والكلبي : هو الرجل يجلس مع القوم فيســـمع الحديث فيه مســـاوئ ومحاســـن ، فيحدث بأحسن ماســـمع منه ، ويكف عما سوى ذلك من القبيح فلا يحدث به[(٧)] .

---

(١) لم أقف على نســبته لابن عبــاس ، وقد أخرج الطبري عــن مجاهد وابن زيد والســدي أن المراد به : الشــيطان ، انظر : تفســيره ١٢/ ٢٠٦ ، وذكر الماوردي عن مجاهد وابن زيد أن المراد به : الشيطان ، وعن الضحاك والسدي أن المراد به : الأوثان . انظر : تفسيره ٥/ ١٢٠ .

(٢) ذكر ذلك الطبري في تفســيره ولم ينسبه ، انظر : ١٢/ ٢٠٦ ، والثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ١٠/ ٥ب ، والبغوي في تفسيره ولم ينسبه ٧/ ١١٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٣ .

(٤) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٦ ، ونسبه الماوردي للسدي ، انظر : تفسيره ٥/ ١٢٠ ، وكذلك نسبه البغوي للسدي ، انظر : تفسيره ٧/ ١١٣ .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ٢٠٦ عن قتادة ، ونسبه الماوردي ٥/ ١٢٠ لقتادة .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب : (كل ما يقال) .

(٧) ذكر ذلك الماوردي عن ابن عباس انظر : تفســيره ٥/ ١٢١ ، ونســبه القرطبــي لابن عباس ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٤ .

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية[١] في من آمن قبل بعث محمد عليه السلام ، وهم زيد بن عمرو وسلمان وأبو ذر ، لم يأتهم نبي ولا كتاب ، ولكنهم سمعوا قول الباقين ، وكان أحسنه عندهم قول لا إله إلا الله فاتبعوه .

وقال ابن عباس في رواية عطاء[٢] : أن أبا بكر -رضي الله عنه- آمن بالنبي ﷺ وصدقه ، فجاء عثمان وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة والزبير ، وسعيد بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فنزلت فيهم : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ يريد من أبي بكر .

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وعلى هذا الأحسن بمعنى الحسن ، والمعنى : فيتبعون حسنه وكله حسن . وذكر أبو إسحاق في هذه الآية وجهين ؛ أحدهما : أن يكون يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، قال : وجائز أن يكونوا يستمعون ما أمر الله به جميعه ، فيتبعون أحسن ذلك نحو القصاص والعفو ، فإن من عفا وترك ما يجب له أعظم ثواباً ممن اقتص ، قال : ومثله ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الشورى :٤١] الآية إلى أن قال : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى :٤٣] .

١٩. قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي : يقول من سبق في علم الله أنه في النار ، أفأنت تنقذه فتجعله مؤمناً[٣][٤] ؟ وقال في رواية عطاء : يريد أبا

(١) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد . انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٧ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٥ب لابن زيد ، وكذلك نسبه البغوي ٧/ ١١٣ لابن زيد ، وكذلك نسبه القرطبي ١٥/ ٢٤٤ لابن زيد . وقال ابن كثير بعد أن ذكر ذلك عن ابن زيد : «والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن . . . .» انظر : تفسير ابن كثير ٦/ ٨٤ .

(٢) ذكره المؤلف في أسباب النزول ٣٨٨ من دون سند ، وذكره أيضاً في تفسيره الوسيط ٣/ ٥٧٥ ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧/ ٤٢١ عن ابن إسحاق .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٩ .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسير الوسيط ٣/ ٥٧٦ ، وذكره البغوي في تفسيره ٧/ ١١٣ عن ابن عباس

لهب[١] وولــده ومن تخلف من عشــيرة النبي ﷺ عــن الإيمان به[٢] ، وأما معنى الاســتفهامين في قوله : ﴿أَفَمَنْ﴾ و﴿أَفَأَنتَ﴾ قال الفرَّاء : هذا مما يراد به استفهام واحد ، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه فيرد الاستفهام إلى موضعه الذي هو له ، وإنما المعنى والله أعلم : أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب[٣] ، وعلى هذا الاســتفهام الأول في غير موضعه فأعيد الثاني في موضعه .

وقولــه : ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ هو من حقت عليه كلمة العذاب فكأنه قال : أفأنت تنقذه ، وقال أبو إســحاق : هذا من لطيف العربية ومعناه معنى الشرط والجزاء ، وألف الاســتفهام هاهنا معناها معنى التوقيف ، والألف الثانية في أفأنت جاءت مؤكدة معادة لما طال الكلام ؛ لأنه لا يصلح في كلام العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاســم وألف أخرى في الخبر ، والمعنى : أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه[٤] ، هذا كلامه ، وشرح قوله إن هذا على معنى الشرط والجزاء ؛ لأن المعنى من حقت عليه كلمة العذاب لم تنقذه .

والاستفهام الأول تقرير ، والثاني إنكار ، بمعنى لا تنقذه ولا تقدر[٥] عليه .

---

(١) عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش عم رسول ﷺ ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام .
كان غنياً عتياً كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، فآذى أنصاره وحرَّض عليهم وقاتلهم ، مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها . انظر : نسب قريش ١٨ ، والمحبر ١٥٧ ، والأعلام ٤/ ١٢ .

(٢) ذكر ذلك المؤلف في تفســيره الوسيط ٣/ ٥٧٦ ، وذكره أيضاً البغوي : عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ٧/ ١١٣ ، وذكره القرطبي عن ابن عباس . انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٦٣ ، والدر المصون ٦/ ١٢ .

وقال الكسائي: الاستفهام الأول محذوف الجواب، ومعناه: أفمن حقت عليه كلمة العذاب كالمؤمن الذي لم تحق عليه كلمة العذاب، فحذف الجواب[١]، ومثله في هذه السورة كثير كقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقوله ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾ الآية [الزمر: ٢٤]، وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ [الزمر: ٩]، وعلى هذا الاستفهام الثاني لا تعلق له بالأول.

وذكر صاحب النظم قول الفرَّاء، فقال: نظمه أفأنت تنقذ من حق عليه كلمة العذاب[٢]، كالإنكار لهذا المعنى إلا أنه قدم قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾، ثم ثنى عليه قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾، فأعاد الاستفهام، وقال: ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾؛ لأنه أشرك فيه هؤلاء الذين ذكرهم وغيرهم من أهل النار، على تأويل أفأنت تنقذهم وتنقذ غيرهم ممن في النار؛ أي لا يمكنك ذلك.

٢٠. قوله تعالى: ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ لكن هاهنا ليست للاستدراك؛ لأنها لم تأت بعد نفي؛ كقولك: ما رأيت زيداً لكن عمرَ، وإنما أتت بعد الإيجاب فتكون كترك قصة إلى قصة تامة مخالفة للأولى، نحو جاءني زيد لكن عمرو لم يأت[٣].

وقوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ قال ابن عباس: يريد من زبرجد وياقوت[٤]، والمبنية من صفة الغرف الأولى والثانية؛ لأنها كلها مبنية.

قال أبو إسحاق: أي لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٠، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ١٦٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٨.

(٣) انظر: المقتضب للمبرِّد ٤/ ١٠٧، ١٠٨، وحروف المعاني للزَّجَّاجي ١٥ ومعاني الحروف للرماني ١٣٣.

(٤) ذكر ذلك القرطبي عن ابن عباس انظر: الجامع ١٥/ ٢٤٥.

(٥) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٠.

قولــه : ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ ، قال أبو عبيدة[١] والزَّجَّــاج : نصبه على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ بمعنى وعدهم الله غرفاً وعداً .

قوله تعالى : ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ ؛ أي ما وعد الكافرين من النار والمؤمنين من الجنة .

٢١. قال صاحب النظــم : قوله تعــالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ﴾ ؛ أي أدخــل ذلك المــاء ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ، والكلام في معنى الســلك قد تقدم[٢] ، والينابيع جمع ينبــوع وهو مفعول من نبع يقال نَبَعَ الماء يَنْبَعُ ويَنْبِعُ ، ثلاث لغات ذكرها الفرَّاء والكسائي[٣] .

قال أبوعبيدة : الينبوع ما جاش من الأرض[٤] .

وقال أبوإسحاق : ومعنى ينابيع الأمكنة التي ينبع منها الماء[٥] .

قال الشــعبي والضحاك : كل ماء في الأرض فابتداؤه من السماء[٦] . كما قال الله تعالى : (وأنزلنا من الســماء[٧] ماء فأســكناه في الأرض) ، ومعنى الآية أن الله تعالى ينبه على قدرته بإنزاله الماء من الســماء ، وإدخالــه ذلك في ينابيع الأرض ، وهي كل موضع نبع منه ماء .

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٨٩ .

(٢) لعله عند قوله : ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ [طه ٥٣] .

(٣) نبع الماءُ ينبَعُ وينْبِعُ ويَنبُعُ . هذا نص الفرَّاء والكسائي في تهذيب اللغة (نبع) ٣/ ٨ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٨٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٠ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن الشــعبي . انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٨ ، ونســبه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٥ب للشــعبي والضحاك ، ونســبه البغوي للشــعبي . انظر : تفسيره ٧/ ١١٤ ونســبه القرطبي للشعبي والضحاك انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٦ .

(٧) نص الآية : ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المؤمنون :١٨] .

وقولـــه : ﴿يَنَـٰبِيعَ﴾ نصبها بحذف الخافض ؛ لأن التقدير فســلكه في ينابيع الأرض ، فلما حذف الخافض انتصب[(١)] .

قـــال مقاتل : فجعله عيونـــاً وركاياً[(٢)] في الأرض ، ثم يخــرج بذلك الماء من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه من أصفر وأخضر وأبيض .

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ؛ أي يجـــف ، قال الأصمعي : يقال للنبـــت [إذا جفافه[(٣)]] قد هاج يهيج هيجاً[(٤)] .

وقال أبوعبيدة : إذا ذوى الرطب كله فقد هاج ، ويقال هاجت الأرض وهو إذا ذوى ما فيها من الخضرة[(٥)] .

قال ابن عباس : يهيج يصفر[(٦)] .

وقال مقاتل : ييبس فتراه بعد الخضرة مصفراً[(٧)] .

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا﴾ قال أبوعبيدة : الحطام والرفات والدرين واحد في كلام العرب ، وهو مايبس من النبات وغيره .

قال مقاتـــل : يعني هالكاً بعد الخضرة ، روى عطـــاء عن ابن عباس في هذه الآيـــة قال : هذا مثل ضربه الله للقرآن ولصـــدور من في الأرض ، يقول أنزل من

---

(١) انظر : فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٥٨ .
(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٤ .
(٣) كذا رسمها في (أ) و(ب) ولعل الصواب (إذا جفّ) .
(٤) انظر : تهذيب اللغة (هاج) ٦/ ٣٤٩ .
(٥) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٨٩ .
(٦) لم أقف عليه .
(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٤ .

السماء قرآناً سلكه في صدور من في الأرض ، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً بعضه أفضل من بعض ، فأما المؤمن فيزداد إيماناً ويقيناً ، وأما الكافر الذي في قلبه مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع[١] .

وقال مقاتل : هذا مثل ضربه الله للدنيا كمثل النبت بينما هو أخضر إذ هو قد تغير كذلك تهلك الدنيا بعد بهجتها وزينتها[٢] ، وكلا القولين ليس بظاهر ولا يوافقه اللفظ ، إنما معنى الآية على ما هو في الظاهر ، ينبه الله على عظم قدرته بإنزاله الماء من السماء وإدخاله في العيون التي يخرج منها ، ثم إنباته بذلك الماء الزروع المختلفة الألوان ثم يهيجها بعد ، يدل على هذا قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ قال أبوإسحاق : أي تفكر لذوي العقول ، فيذكرون ما لهم في هذا من الدلالة على توحيد الله عز وجل[٣] ، وليس المراد بهذا الدنيا ولا القرآن .

٢٢. قوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ ، قال مقاتل : أفمن وسع الله قلبه للتوحيد[٤] ، وذكرنا معنى الشرح في ما تقدم[٥] .

وروي عن ابن مسعود ، أنه قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ، فقالوا : يارسول الله وما هذا الشرح ؟ قال : «نور يقذفه الله في القلب فيفسح القلب» ، فقيل له : فهل لذلك من أمارة ؟ قال : «نعم» ، قال : وما هي ؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت»[٦] .

---

(١) ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٥٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٥) انظر : تفسير الأنعام ١٢٥ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن ابن مسعود . انظر : تفسير سورة الأنعام ٥/ ٢٦ وأخرجه الثعلبي عن ابن مسعود . انظر : تفسيره ١٠/ ٦١أ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٩٨ مرسلاً ومفصلاً ، وقال هذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم . وقال ابن حجر في تخريج أحاديث =

قولـــه : ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قـــال قتادة : النور كتاب الله بـــه يأخذ وإليه ينتهي[(١)] .

وقال عطاء عن ابن عباس : فهو على يقين من ربه[(٢)] ، وقال مقاتل : على هدى مـــن ربه[(٣)] ، المعنى فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، قال أبوإســـحاق : المعنى أفمـــن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقســـوته ، والجواب متروك ؛ لأن الكلام دال عليه ، وهو قولـــه[(٤)] : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ ، ونحو هذا قـــال المبرِّد[(٥)] ، وصاحب النظم وذكره مقاتـــل ، فقال : يقول ليس المشروح صدره بتوحيد الله كالقاسي قلبه عنه ليســـا سواء[(٦)] ، واختلفوا في من نزلت الآية فيه ، فروى عطاء عن ابن عباس : أنها نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده[(٧)] .

= الكشـــاف ٤/ ١٤٣ رواه الثعلبي : والحاكم والبيهقي في الشـــعب من حديث ابن مسعود ، وفيه فروة الرهاوي فيه كلام ، ورواه الترمذي الحكيم في النوادر في الأصل الســـادس والثمانين ١٢٧ وفي إسناده رجل ضعيف .

وأخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود . انظر : المصنف ١٣/ ٢٢١ ، وأخرجه البغوي عن ابن مسعود ، انظر : تفسيره ٧/ ١١٤ .

(١) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفســـيره ١٢/ ٢٠٩ ، ونســـبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفســـيره ١٠/ ٦أ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة ، انظر : ٥/ ١٢١ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لقتادة ، انظر : ٧/ ١٧٣ .

(٢) ذكر ذلك المؤلف في تفســـيره الوســـيط عن عطاء عن ابن عباس ، انظر : الوســـيط ٣/ ٥٧٧ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ونسبه لابن عباس ، انظر : ٧/ ١٧٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥١ .

(٥) ذكر ذلك القرطبي ونسبه للمبرِّد . انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٧ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٧) ذكر ذلك المؤلف في أســـباب النزول من دون سند . انظر : أســـباب النزول للواحدي ٣٨٩ ، وذكره أيضاً في تفسيره الوسيط عن عطاء . انظر : الوسيط ٣/ ٥٧٧ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لعطاء ، انظر : ٧/ ١٧٤ .

قال مقاتل : نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل[١] .

وقال الثمالي : نزلت في عمار بن ياسر[٢] .

قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الفرَّاء : من ذكر الله ، عن ذكر الله كما تقول أتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته سواء ، المعنى أنهم جعلوه كذباً فأقسى قلوبهم[٣] .

وقال أبو إسحاق : يقال قسا قلبه عن ذكر الله ومن ذكر الله ، فمن قال من ذكر الله فالمعنى كلما تلي ذكر الله قسا قلبه ، ومن قال عن ذكر الله فالمعنى : أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله[٤] عز وجل ، قوله تعالى : ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ ؛ أي القاسية قلوبهم من ذكر الله ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ .

٢٣. قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ روى [سعيد[٥]] بن أبي وقاص ، أن أصحاب النبي ﷺ قالوا له : لو حدثتنا ، فأنزل الله[٦] : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال ابن عباس[٧] والمفسرون : يعني القرآن[٨] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٢) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ونسبه لمقاتل ، انظر : ٥/ ١٢٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٥١ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) وهو تصحيف (سعد) .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن سعد بن أبي وقاص انظر : تفسيره ٧/ ١٥٠ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٥ عن سعد بن أبي وقاص وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن مسعود وابن عباس ، انظر : ١٠/ ٦ب ، ونسبه ابن الجوزي لسعد بن أبي وقاص ، انظر : زاد المسير ٤/ ١٧٦ ، ونسبه القرطبي في الجامع لسعد بن أبي وقاص ١٥/ ٢٤٨ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٢٢ ، وزاد المسير ٧/ ١٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٤٨ .

ومعنى الحديث في اللغة ما يحدث به المحدث(١) ، وسمي القرآن حديثاً ؛ لأن النبي ﷺ كان يحدث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه .

وقوله : ﴿ كِتَٰبًا ﴾ قال الزَّجَّاج : منصوب على البدل من قوله ﴿ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ مُّتَشَٰبِهًا ﴾ قال ابن عباس والمفسرون : يشبه بعضه بعضاً فهو متشابه المعاني متشابه الألفاظ(٣) ، كما قال قتادة : تشبه الآية الآية والحرف الحرف(٤) .

قوله تعالى : ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ قال مقاتل وغيره : ثنى فيه المواعظ والأمر والنهي والتخويف ، وذكر الجنة والنار والثواب والعقاب وقصص الأمم الخالية(٥) .

وذكرنا تفسير المثاني عند قوله : ﴿ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر :٨٧] .

وقوله : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ ﴾ قال مقاتل : يعني ما في القرآن من الوعيد جلود الذين يخشون ربهم(٦) ، ومعنى تقشعر جلودهم : تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف(٧) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (حدث) ٤/ ٤٠٥ .
(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥١
(٣) لم أقف على نسبته لابن عباس . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وتفسير البغوي ٧/ ١١٤ .
(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسير ١٢/ ٢١٠ ، ونسبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٠/ ٧أ ، ونسبه الماوردي لقتادة ، انظر : تفسيره ٥/ ١٢٢ ، ونسبه القرطبي لقتادة ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٩ .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ ، وتفسير الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٧أ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٢٣ ، وتفسير البغوي ٧/ ١١٥ .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .
(٧) انظر : تهذيب اللغة (القشعر) ٣/ ٢٧٧ .

قال الفرَّاء : تقشــعر منه جلود الذين يخشون ربهم خوفاً من آية العذاب ، ثم تلين عند آية الرحمة[١] .

وقال أبوإسحاق : إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله -عز وجل- ثم تلين جلودهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة[٢] ، وهذا قول المفسرين في هذه الآية[٣] ، وظاهر قوله : ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ أوجب الاقشــعرار للخائفين من جميع القرآن ، لكن الاقشعرار والخشية خصصا قوله : (منه) ، فعلم أن المراد بقوله (منه) آيات العذاب والوعيد ؛ لأن القشعريرة لا تكون إلا عند سماع آية العذاب من دون سماع غيرها .

قولــه تعــالى : ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ معنى تلين تطمئن ؛ ولذلك وصل بإلى ، والمراد بالاقشعرار المذكور في الآية : الاشمئزاز والاضطراب وضده الاطمئنــان ، ومعنى إلى ذكر الله : الجنة والثــواب فحذف مفعول الذكر للعلم به[٤] .

قال مقاتل : إلى ذكــر الله يعني الجنة وما فيها من الثــواب[٥] ، قال قتادة في هذه الآية : هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله بأن تقشــعر جلودهم وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشــيان عليهم ، إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان[٦] .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١١ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٧أ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٢٣ ، وزاد المسير ٧/ ١٧٥ .

(٤) انظر : زاد المسير ٧/ ١٧٦ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٥٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٧٦ ، والشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٥٩ ، كلاهما عن قتادة .

قولــه : ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ قال المفسرون : يعني القرآن هدى الله[١] ، فذلك إشارة إلى أحســن الحديث ، وقال أبو إسحاق : الذي وهبه الله لهؤلاء من خشيته وخوف عذابه ورجاء رحمته[٢] .

قولــه : ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ قال ابن عباس : من يخذله الله فما له من مرشد[٣] .

وقال مقاتل : من أضله الله عن الهدى فلا أحد يهديه إليه[٤] .

٢٤. قوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ذكرنا معنى الاتقاء في ما تقدم ، ومعناه هاهنا الاستقبال كما يقال : اتقيته بحقه ، قال صاحب النظــم : الاتقاء هاهنا الاســتقبال كرهــاً لا طوعــا لأن النار تقصد وجوههم وأنشد النابغة :

سَقَطَ النَّصِيْفُ وَلَمْ تُرِدْ إسْقَاطَهُ ... فَـتَـنـاوَلَـتْـهُ وَاتَّـقَـتْـنـا بـالـيَـدِ[٥]

أي استقبلتنا بها .

وأنشد :

مازالَ يمتحنُ العلا ويروضـهـا ... حـتى اتـقـتـه بـكـيـميـاءِ السؤددِ[٦]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١١ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ ، وزاد المسير :٧/ ١٧٨ .
(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٢ .
(٣) ذكر القرطبي هذا المعنى ولم ينسبه ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٥٠ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .
(٥) انظر : ديوان النابغة ٣٠ ، والشــعر والشــعراء ٩٢ ، وشرح المعلقات العــشر ١٥٤ ، والبحر المحيط ٧/ ٤٢٤ .
(٦) انظر : ديوان أبي تمام ١٠٠ .

قال ابن عباس وسعيد بن المسيب : نزلت في أبي جهل[١] .

واختلفوا في كيفية اتقاء الكافر النار بوجهه ، فقال مجاهد : يجر على وجهه في النار[٢] .

وقال الكلبي : ينطلق به إلى النار مغلولاً ، فإذا رمت به الخزنة فيها لم يتقها بأول من وجهه[٣] .

وقال مقاتل : في عنقه حجر ضخم مثل الجبل العظيم من الكبريت ، تشتعل فيه النار وهو معلق في عنقه ، يشتعل على وجهه وهو لا يطيق رفعها عنه ؛ من أجل الأغلال التي في يده وعنقه[٤] .

وقال الفرَّاء والكسائي : هذا مما جوابه محذوف المعنى : أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة[٥] ؟ وتم الكلام[٦] .

ثم أخبر عما تقول الخزنة للكفار بقوله : ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد جزاء ما كنتم تعملون[٧] .

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ونسبه لابن المسيب ، انظر : ١٠/ ٨أ ، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٥٧٩ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ١٢/ ٢١١ ، ونسبه الثعلبي لمجاهد . انظر : تفسيره ١٠/ ٨أ ، ونسبه البغوي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ٧/ ١١٧ .

(٣) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط عن الكلبي ، انظر : ٣/ ٥٧٩ ، وذكر نحوه البغوي عن عطاء ، انظر : تفسيره ٧/ ١١٧ ، وكذلك ذكر نحوه القرطبي عن عطاء وابن زيد ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٥١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٦ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ١٧٠ .

(٦) انظر : الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٨٦٨ ، والقطع والائتناف للنحاس ٦٢١ ، والمكتفى للداني ٤٨٩ .

(٧) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٣/ ٥٧٩ ونسبه لعطاء .

قال صاحب النظم: قوله (وقيل) معطوف على مضمر قبله تقديراً فمن[١] يتقي بوجهه سوء العذاب إذا كان يوم القيامة وقيل للظالمين، وعلى هذا لا يصح الوقف عند قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ لاتصال قوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ بما قبله، والقول هو الأول، وهذا تكلف لامعنى له.

٢٥. قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، يعنى من قبل كفار مكة. قال مقاتل: كذبوا رسلهم بالعذاب أنه غير نازل بهم[٢]، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال ابن عباس: وهم آمنون في أنفسهم[٣]. وقال مقاتل: يعني وهم غافلون عنه.

٢٦. قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾[٤]؛ أي الهوان والعذاب الذي يخزيهم به في الحياة الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولكنهم لا يعلمون[٥]، والمعنى أنهم لو كانوا عالمين لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا فيرتدعوا.

٢٧-٢٨. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في حال عربيته وبيانه، وذكر قرآناً توكيداً كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً، وجاءني عمرو إنساناً صالحاً عاقلاً، فتذكر رجلاً وإنساناً توكيداً[٦].

---

(١) كذا رسمها بالأصل ولعل الصواب (تقديره أفمن يتقي).

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٦.

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي ولم ينسبه، انظر: زاد المسير ٧/ ١٧٨.

(٤) في (أ): (فأذاهم الله) وهو تصحيف

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٦.

(٦) ذكر ذلك الزَّجّاج في معاني القرآن ٤/ ٣٥٢.

وذكر أبو علي هذه الآية في المسائل الحلبية ، فقال : قوله ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال من القـــرآن في قوله : ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ، ولا يمنع أن يُنكَّـــر ما جرى في كلامهم معرفة من نحو هـــذا ؛ ومن ثم أجاز الخليل في قول الشاعر :

يا هِندُ هِنْدُ بين خِلْبٍ وَكَبِدْ[١]

أن يكـــون المعنى يا هند أنت هند بين خلب وكبـــد ، فجعله نكرة لوصفه له بالظرف . ومثل ذلك قول الآخر :

علا زيدنا يوم [النقا[٢]] رأسَ زيدكم[٣]

قال مقاتل : قرآناً عربياً ليفقهوه ، ﴿ غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ ﴾ يعني ليس بمختلف ولكنه مســـتقيم[٤] ، كقوله : ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهـف :١] . وقال الكلبي : غير ذي عوج مستقيم على الكتب لا عوج فيه[٥] .

---

(١) انظر : المسائل الحلبيات لأبي علي ٢٩٨ ، والكتاب لسـيبويه ٢/ ٢٣٩ ، واللسان (خلب) ١/ ٣٦٤ ، والخلـب : عظيم مثل ظفر الإنسـان لاصـق بناحية الحجاب مما يلي الكبد ، وهي التـي تلي الكبد والحجـاب والكبد ملتزق بحانب الحجاب . انظر : تهذيب اللغة (خلب) ٧/ ٤٢٢ . والشـاهد فيه : رفع هند الثانية على إضمار مبتدأ وتقديرها نكرة موصوفة بما بعدها ، والتقدير : أنت هند مسـتقرة بين خلب وكبد ، ولم أتوصل إلى قائل هذا البيت .

(٢) في (ب) : (التقى) .

(٣) البيت لرجل من طيِّء وعجـزه : بأبيض من ماء الحديد يمان . النقا : الكثيب من الرمل . ويوم النقا : الوقعة التي كانت عند النقا . الأبيض : السـيف . يمان : منسوب إلى اليمن . انظر : المسائل الحلبيات ص ٢٩٨ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٥٢ ، والكامل ٣/ ١٥٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٦ .

(٥) ذكر نحوه مقاتل في تفسيره ٣/ ٦٧٦ .

٢٩. قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾، المتشاكسون. قال أبو إسحاق: المختلفون العسرون الذين لا يتفقون[(١)]، وقال المبرِّد: يقال شَكِسَ يَشكَسُ شَكَساً إذا عسر وهو رجل شكسٌ؛ أي عَسِرٌ، وقد شكِسَ إذا تَعَاسَر[(٢)]، وقال الليث[(٣)]: التشاكس التنازع والاختلاف. والليل والنهار [شاكسان[(٤)]]؛ أي يتضادان[(٥)]، إذا جاء أحدهما ذهب الآخر، والمفسرون قالوا في التشاكس: أنهم المختلفون[(٦)].

قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ وقرئ سِـلْماً[(٧)]، قال الفرَّاء: وهما متقاربان في المعنى، وكأن سلماً مصدر لقولك سَلِمَ له سَلَماً، والعرب تقول رَبحَ رِبحْاً وَرَبَحاً وسَلِمَ سِلْماً وسَلَماً وسلامة، فسالم من صفة الرجل وسَلَمَ مصدر لذلك[(٨)].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٣.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤/ ١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٥٢.

(٣) الليث بن المظفر، هكذا سماه الأزهري، وقال في البلغة: الليث بن نصر بن يسار الخراساني. وقال غيره: الليث بن رافع بن نصر بن يسار. قال الأزهري: كان رجلاً صالحاً انتحل كتاب العين للخليل لينفق كتابه باسمه ويُرغِّب فيه، قال ابن المعتز: كان من أكتب الناس في زمانه وقال عن نفسه: ما تركت شيئاً من فنون العلم إلا نظرت فيه إلا النجوم؛ لأني رأيت العلماء يكرهونه. انظر: مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٢٨، وإنباه الرواة ٣/ ٤٢، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٠.

(٤) في كتاب العين (يتشاكسان)، وكذا في تهذيب اللغة.

(٥) انظر: كتاب العين (شكس) ٥/ ٢٨٨، وتهذيب اللغة (شكس): ١٠/ ٥، واللسان (شكس) ٦/ ١١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٢١٣، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٨ب، وتفسير الماوردي ٥/ ١٢٤، وتفسير البغوي ٧/ ١١٨.

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: سالماً، وقرأ الباقون: سَلَماً. انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٦٢ والحجة لأبي علي ٦/ ٩٤، والتذكرة لابن غلبون ٢/ ٦٤٧.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٩.

وقال أبو إسحاق : من قرأ سَالماً فهو الفاعل على سلم فهو سالم ، ومن قرأ سِلْماً وسَلَماً فهما مصدران وضعهما على معنى رجلاً ذا سلم لرجل[(١)] ، واختار أبو عبيد سالماً ، وقال : إنما اخترنا سالماً لصحة التفسير فيه ، وذلك أن السالم الخالص وهو ضد [المشرك[(٢)]] ، وأما السلم فهو ضد المحارب ولا موضع للحرب هاهنا[(٣)] .

قال المبرِّد : قد يكون السلم كما قال ويكون بمعنى سالم أيضاً ، كما يقول القائل ملكته سلماً وأخذته سلماً ؛ أي سلماً لا منازع لي فيه ، وكذلك تقول إن كان لك في الدار شرك فهو اليوم سلم لك ؛ أي مخلصه[(٤)] ، وعلى هذا فالقراءتان سواء ، وأما معنى الآية فقال أبو إسحاق : هذا المثل ضرب لمن وحَّد الله -عز وجل- ولمن جعل معه شريكاً ، فالذي وحَّد الله مثله مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره ، ومثل الذي عبد غير الله مثل صاحب الشركاء المتشاكسين[(٥)] ، وهذا معنى ماذكره المفسرون[(٦)] في هذه الآية ، قال مقاتل : يقول هل يستوي عبد يشترك فيه نفر مختلفون يملكونه جميعاً ورجل خالص لرجل لا شركة فيه لأحد[(٧)] ؟ وقال عطاء عن ابن عباس : يريد : من كان مملوكاً بين عدة من الرجال مثل من كان

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٢ . ونص العبارة : ويقرأ (سَلَماً) وسِلْماً ، فسالماً على معنى اسم الفاعل .سَلِمَ فهو سَالِم . وَسَلْمُ وسِلْمُ مصدران وصف بهما على معنى ورجلاً ذا سَلَم .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، وهو تصحيف والصحيح (المشترك) .

(٣) نص على اختيار أبي عبيد ابن زنجلة في حجة القراءات ٦٢٢ ، والثعلبي في تفسيره ١٠/ ٨ب ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٥٣ ، والشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٦٢ .

(٤) لم أقف على قول المبرِّد . انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ٢٣٨ ، وحجة لابن زنجلة ٦٢٢ . وقال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان ومعروفتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . . تفسير الطبري ١٢/ ٢١٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٣ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٨ب ، وتفسير البغوي ٧/ ١١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٥٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٦ .

لا يملكه إلا واحد[١] ، قال صاحب النظم وغيره : المملوك الذي يملكه شركاء متشاكسون كل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه فيه ، ولا ينفقون عليه لعسرهم وسوء أخلاقهم ، والذي هو سالم لرجل لا يتنازع فيه ، والأول : مثل : لعابد الأوثان ، والثاني : مثل : للموحد يقول : فأي هذين خير ؟ فكذلك أنتم إذا كان لكم مالك واحد خير من أن يكون يملككم شركاء متشاكسون مختلفون فيكم وفي ملككم ومعاملتكم[٢] .

وقال قتادة : هذا المشرك تتنازعه الشياطين لا يُقِرُّبه بعضهم لبعض ، ورجلاً سالماً لرجل هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة[٣] ، وعلى هذا القول الشركاء المتشاكسون مثل الشياطين ، وعلى قول الجماعة مثل للأوثان ، ثم قال : ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ وقال مقاتل : يقول هل يستوي من يعبد آلهة شتى مختلفة يعني الكافر والذي يعبد رباً واحداً يعني : المؤمن ، فذلك قوله : ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ يقول : هل يستويان في الشبه ؟[٤]

وقال أبو إسحاق : أي هل يستوي مثل الموحد ومثل المشرك[٥] ؟ وقال صاحب النظم : أي هل يستويان في المثل ؛ أي في الصفة ؟ قال : والمثل هاهنا بمعنى : الصفة كقوله : ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الرعد :٣٥] الآية ، وهذا استفهام معناه الإنكار ؛ أي لا يستويان[٦] ، وذلك أن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته وتدبيره ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين في أمره .

---

(١) لم أقف عليه .
(٢) ذكر نحواً منه ابن عطية ١٤/ ٨٠ ، وابن الجوزي ٧/ ١٧٩ ، والقرطبي ١٥/ ٢٥٣ .
(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره :١٢/ ٢١٤ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧ .
(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٥٣ .
(٦) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١١٨ ، وزاد المسير ٧/ ١٨٠ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ قال مقاتل : خصصهم الله تعالى بما ذكر من المثل والحجة ، فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ حين خصهم[(١)] هذا كلامه ، وعلى ما قال القول مضمر كأنه قيل الحمد لله على أن [خصهم][(٢)] وقطعهم بالحجة ، وقال غيره : تم الكلام[(٣)] ، ثم استأنف فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؛ أي له الحمد كله من دون غيره من المعبودين .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ بل هاهنا تدل على انقضاء الكلام الأول [واستأنف[(٤)]] كلام آخر[(٥)] ، وهو قوله : ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال ابن عباس : لا يعلمون ما يصيرون إليه من العقاب[(٦)] ، وقال مقاتل : لا يعلمون توحيد ربهم[(٧)] ، والمراد بالأكثر هاهنا الجميع[(٨)] .

٣٠. ثم أخبر نبيه ﷺ أنه يموت ، وأن هؤلاء الذين يكذبونه عاقبتهم الموت يموتون ويجتمعون للخصومة عند الله .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ قال مقاتل : يعني : أهل مكة .

٣١. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ قال : أنت يا محمد وكفار مكة ﴿ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[(٩)] ، وعلى هذا القول الاختصام يختص بمشركي مكة

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧ ، ولكن نص العبارة عنده : فخصمهم النبي ﷺ ، فقال : قل ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ حين خصمهم .

(٢) كذا في : (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (خصمهم) .

(٣) انظر : القطع والائتناف للنحاس ٦٢١ ، والمكتفى للداني ٤٨٩ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب : (واستئناف كلام) .

(٥) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٢٣٥ .

(٦) قال البغوي في تفسيره لا يعلمون ما يصيرون إليه ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١١٨ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧ .

(٨) قال البغوي ٧/ ١١٨ : المراد بالأكثر الكل ، وكذلك ذكره ابن الجوزي ٧/ ١٨١ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧ .

ومحمد ﷺ، وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا عام، وأن قوله: ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ المراد به كل أحد من بني آدم المسلم والكافر.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم[1]. ويدل على صحة هذا التفسير، ما روي أن الزبير قال لرسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: [أيكرر عليها[2]] ما كان بيننا مع خواص الذنوب؟ قال: نعم لتكررن حتى يؤدي الرجل إلى كل ذي حق حقه، قال الزبير: والله إن الأمر لشديد[3].

وقال الكلبي: في قوله: ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ تتكلمون بحججكم[4].

٣٢. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: كذب على الله بأن له ولداً وشريكاً[5].

---

(١) أخرج الطبري: عن ابن عباس بلفظ: يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١، وذكره الثعلبي في تفسيره بنص عبارة المؤلف ولم ينسبه، انظر: ١٠/ ٩أ، وكذلك ذكره البغوي بنص عبارة المؤلف ولم ينسبه، انظر: ٧/ ١١٨، وقال القرطبي: تخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم. عن ابن عباس وغيره. انظر: الجامع ١٥/ ٢٥٤.

(٢) كذا في الأصل فيكون الضمير يعود على النفس أو لعله تصحيف والصواب: (علينا) حتى يتناسب مع ما بعده.

(٣) أخرج ذلك الإمام أحمد عن الزبير مع اختلاف بعض الألفاظ. انظر: مسند الإمام أحمد ١/ ١٦٤ وأخرجه الطبري عن الزبير. انظر: تفسيره ١٢/ ٢، وأخرجه الترمذي عن الزبير. انظر: سنن الترمذي كتاب التفسير، باب: ٤١ ومن سورة الزمر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح: ح٥/ ٣٧٠، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠٠ للطبراني، وقال: رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرك عن الزبير، وقال على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم، انظر: المستدرك ٢/ ٤٣٥، وكذلك أخرجه الثعلبي في تفسيره عن الزبير، انظر: ١٠/ ٩/ ب.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٤٦١.

(٥) انظر: تنوير المقباس ٤٦٢، وتفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال ابن عباس : يريد كذبك يا محمد[١] .

وقال مقاتل : يعني بالحق وهو التوحيد[٢] .

وقال آخرون : يعني بالقرآن[٣] ، وهو الصدق ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ لما جاءه . ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد : مقاماً للجاحدين ، وهو استفهام تقرير يعني : أنه كذلك[٤] .

قال صاحب النظم : أليس حرف جحد وقع عليه استفهام فصار تحقيقاً[٥] ، وتأويله : وللكافرين مثوى في جهنم كقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا[٦]

٣٣. قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال ابن عباس : يريد : النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أبو بكر وأصحابه ، وهذا قول علي بن أبي طالب وأبي العالية[٧] .

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٦٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢/ ٢ ، وذكر ذلك البغوي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ٧/ ١٢٠ ، وكذلك ذكره القرطبي ولم ينسبه :١٥/ ٢٥٦ .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٥٨١ ، وذكره القرطبي بلفظ : مقام للجاحدين ولم ينسبه ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٥٦ .

(٥) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٣٢ .

(٦) انظر : ديوانه ٧٤ ، والخصائص ٢/ ٤٦٥ ، والجنى الداني ٣٢ .

(٧) أخرج ذلك الطبري عن علي رضي الله عنه ، انظر : تفسيره ١٢/ ٣ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لعلي وأبي العالية والكلبي ، انظر : تفسيره ١٠/ ١٠ب ، وكذلك نسبه أبو حيان في البحر لعلي وأبي العالية والكلبي ، انظر : البحر المحيط ٧/ ٤٢٨ .

وقال قتادة: الذي جاء بالصدق هـو محمد ﷺ، جاء بالتوحيد، وصدَّق به المؤمنون أصحاب النبي ﷺ[١]، وهو قول ابن عباس[٢].

وقـال مجاهد: والذي جاء بالصدق وصدَّق به هـم الذين يجيئون بالقرآن، فيقولون هذا الذي قد أعطيتمونا واتبعوا مـا فيه[٣]، وتقدير نظم الآية على هذه الأقوال والذي جاء بالصدق والذي صدق به، ويكون الذي في معنى [جمع[٤]]، كقولك من صدق وعلى هذا يتوجه أيضاً قول عطاء: والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع[٥]، وقال سـعيد بن جبير: الذي جاء بالصدق قال: لا إله إلا الله مصدقاً به[٦].

قولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قـال ابن عباس: الذيـن يخافونني وآمنوا بي[٧]، وقال مقاتل: أولئك هم المتقون الشرك[٨].

٣٥. قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يتعلق بمحذوف دلَّ عليه الكلام كأنه قيل أعطاهم ما يشاءون ليكفر[٩] عنهم سيئاتهم أي يسترها عنهم

---

(١) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ٣ عن قتادة، ونسـبه الثعلبي لقتادة ومقاتل، تفسـيره ١٠/ ١٠ب، ونسبه القرطبي لابن زيد ومقاتل وقتادة. الجامع ١٥/ ٢٥٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٣، وتفسير الماوردي ٥/ ١٢٦.

(٣) أخرجه ابن حجر في تغليق التعليق عن مجاهد، انظر: ٤/ ٢٩٨، وأخرجه الطبري عن مجاهد، انظر: تفسيره :١٢/ ٤، ونسـبه الثعلبي في تفسـيره لمجاهد، انظر: ١٠/ ١١/ أ، ونسبه القرطبي للنخعي ومجاهد، انظر: الجامع ١٥/ ٢٥٦.

(٤) في (أ): (جماع).

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في تفسـيره عن عطاء، انظر: ١٠/ ١٠ب، ونسبه البغوي في تفسيره لعطاء، انظر: ٧/ ١٢٠.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٧.

(٩) انظر: الدر المصون ٦/ ١٦.

بالمغفـــرة ، ودلَّ عليه قوله : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل : يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوئ[١] .

٣٦ـ٣٨ . قوله عــز وجــل : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ قال ابن عبــاس : يريد النبي ﷺ[٢] ، يقول : يكفيك عــداوة من عاداك ، وقال مقاتل : يعني أَوَمــا الله يكفي النبي ﷺ عدوه[٣] ، وتوحيد العبــد قراءة أكثر القراء وهو اختيــار أبي عبيد ، قــال : لقولــه : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾[٤] وكانت المخاطبة للنبي ﷺ .

وقال الفرَّاء : إن قريشــاً قالت للنبي ﷺ : إنــا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ محمداً ﷺ[٥] .

وقال أبو إســحاق : هذا يدلُّ على النصر وعلى أنه كقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبـه :٣٣] ، وهو مثــل : ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[٦] [الحجر :٩٥] ، فعــلى قول هؤلاء ، المراد بالعبد محمد ﷺ ، ومعنــى الكفاية كفاية عداوة المعادي حتى يغلبهم ويظهر عليهم ، وعلى ما ذكر الفرَّاء كفاية معرة الآلهة .

وقال أبو معــاذ النحوي : من قرأ عبده على الواحــد فالمراد به الجمع ، وهو مذهب صاحب النظم ، قال : معنــاه أن الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٨ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٦٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٨ . بلفظ : أما الله (بكاف عبده) يعني : النبي ﷺ يكفيه عدوه .

(٤) قرأ حمزة والكســائي :عباده بالألف وقرأ الباقون : عبده . انظر : تفســير الطبري ١٢/ ٥ ، والحجة : لأبي علي ٦/ ٩٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٢٢ ، وأشــار القرطبي إلى اختيار أبي عبيد . انظر : الجامع :١٥/ ٢٥٧ ، وكذلك أشار إليه الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٦٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٤٥ .

بالثواب وهذا بالعقاب[١]، ومن قرأ عباده على الجمع قال: همت أمم الأنبياء بهم وقصدوهم بالشر كقوله: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥]، فكفاهم الله شر من عاداهم[٢]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾؛ أي محمداً والأنبياء قبله ذكر ذلك الفرَّاء[٣]، وقال أبو علي: المراد بالعباد الأنبياء، كفى إبراهيم ونوحاً الغرق ويونس ما دفع إليه، فهو -سبحانه- كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك عليهم السلام[٤].

قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يريد أصنامهم[٥].

وقال مقاتل: ويخوفونك بالذين يعبدون من دونه، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ أما تخاف أن يصيبك من آلهتنا جنون أو خبل[٦]؟ وقال معمر: قالوا للنبي: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فتخبلنك[٧].

وقال قتادة في هذه الآية: إن خالد بن الوليد مشى إلى العزى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها: احذركها يا خالد إن لها شدة لا يقوم عليها شيء، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى هشمها بالفأس[٨].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٥٧.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٧/ ١٢٠.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٩.

(٤) انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ٩٦.

(٥) ذكر ذلك الماوردي ونسبه للكلبي والسدي. انظر: تفسيره ٥/ ١٢٧ انظر: تنوير المقباس ٤٦٢.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٨.

(٧) أخرج ذلك عبدالرازق في تفسيره عن معمر. انظر: تفسير عبدالرازق ٢/ ١٧٣، وذكره القرطبي ولم ينسبه، انظر: الجامع ١٥/ ٢٥٨.

(٨) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: تفسيره ١٢/ ٦، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٢٩ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥/ ٢٥٨ لقتادة.

قال أبو إسحاق : فهذا معنى : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ لأن تخويفهم خالداً تخويفهم للنبي ﷺ ، لأنه وجه خالد[1] .

ثم ذكر سبب ضلالتهم فقال : ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ الآية ، ثم أعلم أنهم مع عبادتهم الأصنام مقرّون بأن الله خالق السموات والأرض ، فقال : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ .

ثم أمره أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا يملكون كشف ضر ، فقال : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : بمرض أو فقر وبلاء وشده[2] ، ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ هل تقدر الآلهة أن تكشف ما ينزل بي من الضر ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ بخير وصحة ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ هل تقدر أن تحبس عني تلك الرحمة ؟ قال أبو إسحاق : قُرئ كاشفات وممسكات بالتنوين وبغيره ، فمن نون فلأنه غير واقع ؛ لأن المعنى هل هن يكشفن ضره أو يمسكن رحمته ، ومن أضاف فعلى الاستخفاف وحذف التنوين وكلا الوجهين حسن[3] ، هذا كلامه ، وشرحه أبو علي ، فقال : من نون فلأنه مما لم يقع ، وما لم يقع من أسماء الفاعلين فالوجه فيه النصب ووجه الجر أنه لما حذف التنوين ، وإن كان المعنى على إثباته [وعاقبت[4]] الإضافة التنوين والمعنى على التنوين وعلى هذا قوله : ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة :١] ، وقوله : ﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الأحقاف :٢٤] ، وقوله : ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[5] [الأحقاف :٢٤] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٥٥ .

(٢) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ونسبه لابن عباس ومقاتل . انظر : ٣/ ٥٨٢ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج :٤/ ٣٥٥ ، وتفسير الطبري ١٢/ ٧ .

(٤) في (أ) و(ب) : (وعاقبة) .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ٩٦ .

قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عند ذلك فسكتوا ولم يجيبوه، فقال الله للنبي ﷺ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يعني: بالله يثق الواثقون[1].

٣٩. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ هذه الآية والتي بعدها مفسرة في سورتين قبل هذه السورة [الأنعام: ١٣٥، هود: ٩٣].

٤١. قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: يريد لجميع الخلق.

﴿بِالْحَقِّ﴾ قال: ليس فيه شيء من الباطل[2]، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾، وهذه الآية مفسرة في آخر سورة يونس [آية: ١٠٨].

٤٢. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ قال الكلبي: لم نوكلك بهم ولا تؤخذ بهم، قال: وهذا قبل أن [أمر[3]] بالقتال فلما أُمر بالقتال نُسخت هذه الآية[4].

وقال أبو إسحاق: أي ما أنت عليهم بحفيظ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير[5]، فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ روي عن ابن عباس أنه قال:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٨.

(٢) ذكر هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه، انظر: ٧/ ١٨٥، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط منسوباً لابن عباس، انظر: ٣/ ٥٨٣.

(٣) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (يؤمر).

(٤) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣٤٥، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٤٢، وقال ابن الجوزي: وإذا كان معناه التهديد والوعيد فلا وجه لنسخه. ولم أقف على نسبته للكلبي، وقد نسبه المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٨٣ لمقاتل، وقال مقاتل: نسختها آية السيف، انظر: ٣/ ٦٧٩.

(٥) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٦.

لكل إنسان نفسان ؛ أحدهما : نفس العقل الذي يكون به التمييز ، والآخر : نفس الروح الذي يكون به الحياة[١] ، واختار ابن الأنباري وأبو إسحاق[٢] هذا .

قال ابن الأنباري : الـروح هو الذي به الحياة ، والنفس هي التي بها العقل ، فإذا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، ولا يقبض الروح إلا عند الموت ، قال : وسميت النفس نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها[٣] .

وقال أبو إسـحاق : لكل إنسـان نفسـان ، نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقـل ، والأخرى نفس الحياة وإن زالـت زال معها النفس ، والنائم يتنفـس ، قال : وهذا الفرق بين توفي نفس النائـم في النوم وتوفي نفس الحي[٤] ، قال : ونفس الحياة هي الروح وحركة الإنسـان ونموه يكون به ، فقوله : ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ يعني : الأرواح ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ قال ابن عباس : يريد حين آجالها[٥] ، وقال مقاتل : يقول عند آجالها[٦] .

والمعنى عند فراقها الجسد وهو وقت انقضاء آجالها إذا انقضى الأجل فارقت الأرواح الأجساد ، ومعنى الموت خروج الروح من الجسد وفراقه إياها ، فموت الأنفـس التي هي الأرواح خروجها من الأبـدان ، والميت من فارقه الروح وإن شـئت جعلت هذا مـن باب حذف المضاف عـلى تقدير حين مـوت أبدانها[٧]

---

(١) نسبه الثعلبي ١٠/ ١١أ ، والماوردي ٥/ ١٢٨ ، والقرطبي ١٥/ ٢٦١ لابن عباس ، وكذا السيوطي في الدر ٧/ ٢٣٠ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٦ ، والزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٣) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس لابـن الأنباري ٢/ ٣٧٤ ، وذكر ذلك الأزهري في تهذيب اللغة عن ابن الأنباري (نفس) ١٣/ ٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٦ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٦٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٨ .

(٧) انظر : روح المعاني للألوسي ٢٤/ ٧ .

وأجسادها ، ويدل على صحة هذا قوله : ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ ؛ أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت ؛ أي لم تنقض آجالها في منامها ؛ أي في منام أجسادها ؛ لأن النفس التي تتوفى عند الموت لا تنام وإنما تنام الأجساد ، والتي تتوفى عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز .

قوله : ﴿فَيُمۡسِكُ﴾ ؛ أي عن [الجسد[1]] حتى لا تعود إليه وهي التي قضى عليها الموت . وقرىء [قُضِيَ عليها الموتُ[2]] والوجه القراءة الأولى ، لقوله : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى﴾[3] .

قوله تعالى : ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ فكما أن هذا الفعل مبني للفاعل كذلك حكم الذي عطف عليه ، ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل للفاعل والأول أبين ، وقوله : ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ، قال مقاتل : ويرسلها إلى الجسد[4] ، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس : يريد التي بقي من أجلها شيء إلى انقضاء أجلها[5] .

قال سعيد بن جبير في هذه الآية : يقبض أنفس الأحياء والأموات ، فيمسك أنفس الأموات ، ويرسل أنفس الأحياء فلا يغلط[6] .

---

(١) في (ب) : (الأجساد) .

(٢) قوله : (وقرئ قضى عليها الموت) ساقطة من (ب) .

(٣) قرأ حمزة والكسائي : قُضِيَ بضم القاف والياء مفتوحة والموت رفع . وقرأ الباقون بفتح القاف . الموت نصباً . انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ٩٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٦٢٤ ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ٢/ ٧٥٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٩ .

(٥) ذكر نحوه الماوردي ونسبه لابن عباس ، انظر : تفسيره ٥/ ١٢٨ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ٩ عن سعيد بن جبير دون قوله : فلا يغلط . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٨٦ لسعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ : فلا يخطئ بشيء منها ، وأورده المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٨٤ بهذا اللفظ .

قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يعني : لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمســاك ما يمسك من الأرواح ، وإرسال ما يرسل منها ، ونحو هــذا روي عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : تلتقي أرواح الأحياء والأموات في المنام ويتســاءلون ، ثم ترد أرواح الأحياء إلى أجســادها فلا يخطئ منها شيء[(١)] ، فذلك قولــه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقال في رواية عطاء : إن في ذلك لآيات يريد لعبرة لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته ، وأنه لا يقدر على هذا أحد غيره[(٢)] ، وقال مقاتل : يعني لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث[(٣)] ، يريد : أن توفي نفس النائم وإرســالها بعد التوفي دليل على البعث ، وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة ، يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث[(٤)] .

٤٣. قوله تعــالى : ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ ؛ أي بل اتخذوا ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ ، قال ابن عباس ومقاتل : نزلت في أهل مكة زعموا أن الأصنام شــفعاؤهم عنــد الله[(٥)] ، فقال الله تعــالى منكراً عليهــم : ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ والمعنى آلهة شــفعاء ؛ لأن الله ليس يشــفع حتى يقال لمن عبد غيره اتخذ دونه شفيعاً ،﴿ قُلْ ﴾ يا محمد﴿ أَوَلَوْ كَانُواْ ﴾ يعني : الآلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[(٦)] ومثله كثير ، وتقدير الجواب : أو لو كان بهذه الصفة تتخذونهم[(٧)] .

---

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المســير ٧/ ١٨٦ ، ونسبه ابن كثير لابن عباس لكن بلفظ : يمسك أنفس الأموات ، ويرسل أنفس الأحياء ولا يغلط ، انظر : تفسير ابن كثير ٦/ ٩٦ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٩ .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٨٤ .

(٥) لم أقف على نسبته لابن عباس ، انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٩ ، وزاد المسير ٧/ ١٨٦ .

(٦) في (أ) : (ولا يهتدون) ، وهو تصحيف .

(٧) انظر : البحر المحيط ٧/ ٤٣١ .

٤٤. ثم أخبر أنه لا شفاعة لهم لأحد إلا بإذنه، فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، قال مقاتل: قل جميع من يشفع إنما هو بإذن الله[١]، والمعنى لا يملك الشفاعة أحد إلا بإذنه كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال أبو علي: معناه الشفاعة في الآخرة وإنما نسبت الشفاعة إلى الله -سبحانه- إبطالاً لشفاعة من ادعت شفاعته لهم من الآلهة، ونفياً لها فنسبت الشفاعة إلى الله لما لم تكن إلا بأمره بها وبإذنه فيها، وإن كانت الملائكة والأنبياء فاعلوها في الحقيقة[٢].

وقال مجاهد: لله الشفاعة جميعاً لا يشفع أحد إلا بإذنه[٣].

٤٥. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ معنى الاشمئزاز في اللغة: النفور والاستكبار[٤]، وضده المطاوعة وتقول العرب: اشمأز الرمح إذا لم يطاوع الثقاف، ومنه قول عمرو:

إذا عض الثقاف[٥] بها اشمأزت[٦]

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد. انظر: تفسيره ١٢/ ١٠، ونسبه البغوي ٧/ ١٢٣ لمجاهد.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (شمز) ١١/ ٣٠٦، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ١٨١.

(٥) الثقاف: هو ما تسوى به الرماح. انظر: الصحاح (ثقف) ٤/ ١٣٣٤ واللسان (ثقف) ٩/ ٢٠.

(٦) البيت لعمرو بن كلثوم وعجزه:

وولته عَشْوَزَنَةً زبونا

انظر: البيت في الدر المصون ٦/ ١٨، والبحر المحيط ٧/ ٧٢٦، واللسان (ثقف) ٩/ ٢٠، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٢ب، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٦٠، وشرح المعلقات العشر ٩٣.

قال أبو عبيد والزَّجَّاج : اشـمأزت نفـرت[١] ، وكان المشركون إذا ذكر الله فقيـل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا من هـذا ؛ لأنهم كانوا يقولون : إن الأوثان آلهة[٢] .

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل في تفسير اشمأزت : انقبضت عن التوحيد[٣] ، وقال قتادة : استكبرت وكفرت[٤] .

قوله تعـالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني : الأصنام التي عبدوها من دونـه ، قال ابن عباس ومقاتـل : ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون[٥] ، قال مجاهد ومقاتل : يعني قرأ النبي ﷺ بمكة سـورة النجـم ، فقال : «تلك الغرانيق العلى» ففرح كفار مكة بذلك حين سمعوا أن لها شفاعة[٦] .

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٩٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٦ .

(٣) ذكر ذلك عنهم الثعلبي في تفسـيره :١٠/ ١٢ب ، والبغوي في تفسيره ٧/ ١٢٣ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ومجاهد . انظر : زاد المسير ٧/ ١٨٧ ، وكذلك نسبه القرطبي لابن عباس ومجاهد . انظر : الجامع ١٥/ ٢٦٤ ، وأخرجه الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسـيره ١٢/ ١٠ ، وانظر : تفسـير مقاتل ٣/ ٦٨٠ .

(٤) أخـرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسـيره ١٢/ ١٠ ، ونسـبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسـيره ١٢/ ١٠ب ، ونسـبه البغوي لقتادة ، انظر : تفسـيره ٧/ ١٢٣ ، وكذلك نسـبه ابن الجوزي لقتادة ، انظر : زاد المسير ٧/ ١٨٧ .

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ولم ينسـبه ، انظر : تفسيره ١٠/ ١٢ب ، والبغوي لم ينسبه ٧/ ١٢٣ ، وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٨٧ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٠ .

(٦) أخرج الطبري عن مجاهد قوله في تفسـير : (اشـمأزت) قال : انقبضت ، قال : وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ١٠ ، وذكر ذلك الثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٠/ ١٢ب ، ونسـبه البغوي ٧/ ١٢٣ لمجاهد ومقاتل ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥/ ٢٦٤ لجماعة من المفسرين . انظر : تفسـير مقاتل ٣/ ٦٨٠ ، وأما بالنسـبة إلى قصة الغرانيق فهي قصة باطلة ، وقد تكلم عنها العلماء قديماً وحديثاً فأثبتهـا القليل منهم وأيدها ، وردها الأكثرون وأبطلوها ، وقد تقدم تفصيـل الكلام عنها عند قوله تعالى : ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج :٥٢] ، وسـيأتي أيضاً في سورة النجم . =

= وإليك إشارة إلى كلا القسمين : القسم الأول : من أثبت القصة منهم : الحافظ ابن حجر رحمة الله ، ذكر ذلك في فتح الباري في تفسير سورة الحج ٨/ ٤٣٨ ، وإبراهيم الكوراني ، ذكر ذلك الألوسي ، والسيوطي في لباب النقول ١٥٠ ، وقد رد عليه الألوسي في ذلك رداً شافياً كافياً في تفسير الألوسي ١٧/ ١٧٨ .

القسم الثاني : الذين أبطلوا القصة : على رأسهم ابن العربي ، فقد ردها سنداً ومتناً ، وقرر ذلك في عشرة مقامات ، انظر : تفسيره ٣/ ١٣٠٠ ، وتابعه على ذلك أيضاً القاضي عياض في كتابه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٧٥٠ فقد ردها سنداً ومتناً .

وحكى الفخر الرازي في تفسيره عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصنف فيه كتاباً . وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي وهو من كبار رجال السنة : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ٥٠ ، وممن جزم بوضع القصة أيضاً جزماً ثابتاً الإمام ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ٣١ ، وأورد الطبري في تفسيره عن المرتضي أحد أئمة الشيعة ، قال : وأما الأحاديث المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند أصحاب الحديث ، انظر : تفسير الطبري ٧/ ٩١ ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم ، انظر : تفسيره ٤/ ٦٥٥ ، وكذلك رد القصة الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير ٣/ ٤٦٢ ، وردها أيضاً الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ١٧٥ . وردها أيضاً الألباني في كتاب سماه : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، وكذلك ردها الغماري في كتابه : بدع التفاسير ٩٤ ، وأيضاً ردها الدكتور إبراهيم شعوط في كتابه : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ٥٥ ، وكتب فيها الدكتور عبدالله بن إبراهيم الوهيبي بحثاً شاملاً مفصلاً أورد فيه أدلة المثبتين للقصة ، ورد عليهم من جهة السند بنقاط عدة منها :

١ - يحتمل أن المرسَل عنه في هذه الطرق واحد ، وهذا مما يمنع اعتضاد بعضها ببعض ؛ لأن من شرط المعضِد أن يكون من غير طريق المعضد .

٢ - على تسليم اعتضاد بعضها ببعض كما هو رأي الحافظ ابن حجر ، فالأمر الذي تناولته أمر خطير يتعلق بالعقيدة وأمور العقائد لايعتمد فيها على أخبار الآحاد فضلاً عن المرسلات .

وكذلك ردها من جهة المتن بنقاط عدة :

١ - شذوذ تلك الروايات .

٢ - اضطراب رواياتها .

٣ - وقوع المدح بين ذمين .

٤ - الغرانيق في لغة العرب لا تطلق على الآلهة . انظر : البحث مفصلاً في مجلة كلية أصول الدين بالرياض للعام الجامعي ١٤٠٣/ ١٤٠٤ هـ ١٣ .

٤٧. قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة[(١)].

وقال السدي: عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات[(٢)].

وقال عبدالله بن مسلم: عملوا في الدنيا أعمالاً كانوا يرون أنها تنفعهم فلم تنفعهم مع شركهم[(٣)]، والمعنى: أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام وظنوا أنها تقربهم إلى الله، فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا، وقد ظهر هذا المعنى في قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ قال ابن عباس: يريد من مساوئ أعمالهم من الشرك [وظلم[(٤)]] أولياء الله[(٥)]، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، قال: نزل بهم كل ما أنذرهم محمد ﷺ مما كانوا ينكرونه [ويكذبونه[(٦)]] ويستهزءون به[(٧)].

٤٩. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فسَّرنا هذه الآية في أول هذه السورة.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ قال المفسرون: أعطيناه وآتيناه[(٨)]، قال أبو إسحاق: أعطيناه وآتيناه ذلك تفضلاً، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خوِّل[(٩)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٨١.

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره عن السدي انظر: ٧/ ١٢٤، ونسبه ابن الجوزي للسدي. انظر: زاد المسير ٧/ ١٨٨، وكذلك القرطبي ١٥/ ٢٦٥ نسبه للسدي.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن ٣٨٤.

(٤) في (ب): (والظلم).

(٥) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه، انظر: ٧/ ١٢٤.

(٦) في (ب): (ويكذبوه).

(٧) ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه، انظر: ٧/ ١٨٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٢، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٣أ، وتفسير البغوي ٧/ ١٢٤.

(٩) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٧.

قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ ذكر الكناية ؛ لأن المراد بالنعمة الإنعام[(١)] ، وقال مقاتل : إنما أعطيت الخير[(٢)] فجعل النعمة بمعنى الخير .

قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي ، قال ابن عباس : يريد إنما أعطانيه الله لكرامتي عليه[(٣)] ، وقال مقاتل : على خير علمه الله عندي[(٤)] .

وقال مجاهد : على شرف[(٥)] ، وقال قتادة : على خير عندي[(٦)] .

وقال آخرون : على علم من الله بأني له أهل[(٧)] .

قال أبو إسحاق : يقول أن هذا الذي أعطيته قد علمت أني سأعطى ؛ أي أعطيته على شرف وفضل يجب لي ما أعطيته[(٨)] ، فالعلم في قوله : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يجوز أن يكون من الله ، ويجوز أن يكون من الإنسان ، ويجوز أن يكون عبارة من الشرف والفضل على ما حكينا عن هؤلاء ، فأعلم الله تعالى أنه قد يعطي اختباراً وابتلاء ، فقال : ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ ؛ أي تلك العطية فتنة من الله أي بلوى يبتلي بها العبد ليشكر أو يكفر قاله الزَّجَّاج[(٩)] .

---

(١) انظر : زاد المسير ٧/ ١٨٨ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٥٨٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٢ عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ٥٨٠ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٢ عن قتادة ، ونسبه الثعلبي ١٠/ ١٣ب لقتادة .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ١٣ب ، والبغوي ٧/ ١٢٤ ، والجامع ١٥/ ٢٦٦ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٧ بلفظ : أي أعطيته على شرف وفضل يجب له به هذا الذي أعطيت ، فقد علمت أني سأعطى هدى . .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٧ .

وقال مقاتل : يقول الله تعالى بل تلك النعمة إذا ابتلي به[١] .

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك استدراج من الله لهم قاله ابن عباس[٢] .

٥٠ ـ ٥١ . قوله تعالى : ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ ؛ أي قال [ذلك[٣]] الكلمة التي قالها هذا الإنسان الكافر وهو قوله : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني : الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء ، قال مقاتل وغيره : يعني قارون[٤] حين قال : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص :٧٨] ، قال ابن عباس : كانوا قد بطروا نعمة الله فإذا آتاهم الله الدنيا فرحوا بها وطغوا ، وقالوا هذه كرامة من الله لنا وهم في معاصي الله يتمادون[٥] .

وقوله : ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل : ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً[٦] والمعنى أنهم ظنوا ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك ؛ لأنهم وقعوا في العذاب ولم يغن عنهم ماكسبوا شيئاً ، وقال أبو إسحاق : أي قد قالها من قبلهم فأحبطت[٧] أعمالهم ، وعلى هذا معنى الآية أن قولهم : إنما يؤتينا الله لكرامتنا عليه أحبط أعمالهم ، فكنى عن إحباط العمل بقوله : ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٥٠ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ ؛ أي جزاؤها يعني العذاب ، وهو قول ابن عباس والجميع[٨] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ لكن بلفظ : (بلاء ابتلي به) وهو المناسب للسياق .

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٢٤ ، وكذلك ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٨٩ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (تلك) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ ، والبغوي ٧/ ١٢٤ ، وزاد المسير ٧/ ١٨٩ ، والجامع ١٥/ ٢٦٦ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٥٧ .

(٨) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٢٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٨٩ .

قولـــه : ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ قـــال ابـــن عبـــاس : لا يعجزونـــي في الدنيا والآخرة[١] .

وقال مقاتل : وماهم بســـابقي الله بأعمالهم الخبيثة حتى يجزيهم بها[٢] ، وقال أبو إسحاق : أي إلى الله مرجعهم فيجازيهم بأعمالهم[٣] .

٥٢. قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ قال ابن عباس : أو لم يعلم يا محمد قومك[٤] .

وقال مقاتل : وعظهم ليعتبروا في توحيده وذلك حين مطروا بعد سبع سنين ، فقال : أو لم يعلموا أن الله يوســع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء[٥] ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي في بسط الرزق وتقتيره .

٥٣. قولـــه تعـــالى : ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ المفسرون كلهم قالوا إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا ألا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام ، كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبـــي ﷺ والقتال والزنا وغير ذلك من الذنـــوب العظام ، فأنزل الله -عز وجل-[٦] هذه الآية ، ودعاهم ووعدهـــم المغفرة ، وفرح النبي ﷺ بهذه الآية ، ورآها وأصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجاج ٤/ ٣٥٧ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٢ .

(٦) أخـــرج ذلك البخاري عن ابن عباس انظر : صحيح البخاري كتاب التفســـير باب قوله : ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ٦/ ٣٣ ، وأخرجـــه الطـــبري عن ابن عباس ، انظر : تفســـيره ١٢/ ١٤ ، وأخرجه الثعلبي عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ١٠/ ١٣ب ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٣٩٠ =

قوله : ﴿أَسْرَفُوا﴾ قال مقاتل : يعني بالإسراف الشرك والدماء والأموال والزنا[١] .

وقوله : ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ لا تيأسوا ؛ وذلك أنهم ظنوا أن لا توبة لهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أعلم الله -عز وجل- أن من تاب وآمن غفر له كل ذنب ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب .

٥٤. ثم دعاهم إلى التوبة ، فقال : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قال مقاتل : ارجعوا من الشرك والذنوب إلى الله فوحدوه .

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أخلصوا لله بالتوحيد ثم خوفهم ، فقال : ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ لاتمنعون من عذاب الله[٢] .

٥٥. قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ ، قال مقاتل والكلبي : هو القرآن يقول أحلّوا حلاله وحرَّموا حرامه[٣] ، واختاره أبو إسحاق قال : ودليل ذلك قول الله : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[٤] .

وقال الحسن : التزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته ، فإن الذي أنزل عليه ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليتجنب ، والأدون لئلا يرغب فيه ، والأحسن ليؤثر ويتبع ،

= عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول ١٨٥ وعزاه لابن أبي حاتم بسند صحيح ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٧/ ١٢٥ ، وانظر : الصحيح المسند من أسباب النزول ١٣٠ .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٣ ، وتنوير المقباس ٤٦٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزّجّاج ٤/ ٣٥٨ .

ونحو ذلك قال السدي : الأحسن ما أمر الله به في كتابه(١) ، وقال ابن زيد : يعني المحكمات يقول اتبعوها وكلوا علم المتشابه إلى عالمه(٢) .

قوله تعالى : ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ قال ابن عباس : يريد الموت(٣) ، وذلك أنهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب ، وهو قوله : ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ، قال : يريد وأنتم آمنون حتى يفاجئكم الموت .

٥٦. قوله تعالى : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ مذهب الكوفيين في هذا إضمار (لا) ، المعنى أنيبوا إلى ربكم وبادروا التوبة لئلا تقول نفس ، ومذهب البصريين حذر أن تقول نفس وخوف أن تقول(٤) . قال المبرِّد : أي بادروا خوف أن تقول نفس ، وحذر أن تقول نفس(٥) ، وما قبله من الكلام يدل على المبادرة ، وقال أبو إسحاق : المعنى اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ؛ أي تصيروا إلى حال الندامة(٦) ، ومثل هذا ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل :١٥ ، لقمان :١٠] و﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء :١٧٦] ، وقد مر ، قال مقاتل : من قبل أن تقول يا حسرتى يعني يا ندامتا(٧) ، قال ابن عباس : يقول يعني يوم القيامة(٨) .

---

(١) انظر : قولي الحسن والسدي في تفسير الثعلبي ١٠/ ١٧أ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٢٨ ، وذكر في تفسير الوسيط : قول السدي فقط انظر : الوسيط ٣/ ٥٨٨ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٧أ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٧٠ .

(٣) ذكر هذا المعنى في تفسير الوسيط ولم ينسبه ، انظر : الوسيط ٣/ ٥٨٨ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧ ، والكشاف للزمخشري ٣/ ٣٥٢ والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٧٠ .

(٥) انظر : قول المبرِّد في تفسير البغوي ٧/ ١٢٩ ، وزاد المسير ٧/ ١٩٢ ، وفتح القدير ٤/ ٤١٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٩ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٨) لم أقف عليه .

قال أبو إسحاق : وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها ، وتأويله أن الحسرة قد حلت به ولازمته[(١)] .

قولــه تعــالى : ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ومعنى التفريــط في اللغة إهمال ما ينبغي أن يتقــدم فيه حتى يفوت ، ويفسر بالتضييع والتقصير[(٢)] ، وقد ســبق تفسيره .

واختلفت[(٣)] عبارات المفسرين في تفسير هذه القطعة :

فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد ضيعت من ثواب الله[(٤)] .

وقال مقاتل : ضيعت من ذكر الله[(٥)] ، وهذا قول الضحاك[(٦)] .

وقال مجاهد : في أمر الله[(٧)] ، وقال الحسن : في طاعة الله[(٨)] .

وقال سعيد بن جبير : في حق الله[(٩)] ، هذا ما ذكره المفسرون وهو معنى الآية ، ولم يذكروا تفسير قوله : ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ، وذكر أهل المعاني :

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٥٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (فرط) ١٣/ ٣٣١ ، والمفردات للراغب (فرط) ٣٧٦ .

(٣) في (أ) و(ب) : (واختلف) .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط انظر : ٣/ ٥٨٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٢ ، والقرطبي ١٥/ ٢٧١ .

(٧) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفســيره ١٢/ ١٩ ، ونســبه الثعلبي لمجاهد ، انظر : تفســيره ١٠/ ١٧ب ، ونســبه البغوي في تفســيره ٧/ ١٢٩ لمجاهد ، ونســبه ابن الجوزي لمجاهد ، زاد المسير ٧/ ١٩٢ ، وكذلك القرطبي ١٥/ ٢٧١ .

(٨) ذكر ذلك الثعلبي في تفســيره ١٠/ ١٧ب ، والبغوي في تفسيره ٧/ ١٢٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٢ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٧١ .

(٩) ذكر ذلك الثعلبي في تفســيره ١٠/ ١٧ب ، والبغوي في تفسيره ٧/ ١٢٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٢ .

قال أبو عبيدة : في جنب الله وفي ذات الله واحد[١] ، والمعنى على هذا القول أن ذات الله -تعالى- هو الله ، ويقدر المضاف فيكون التقدير على ما فرطت في أمر الله أو طاعة الله أو ذكر الله ، وقال الفرَّاء : الجنب القرب ؛ أي في قرب الله وجواره[٢] ، هذا كلامه ، والجنب بمعنى القرب كثير في الكلام يقال فلان يعيش في جنب فلان ؛ أي في قربه وجواره ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء ٣٦] ، والمعنى على هذا ما فرطت في طلب جنب الله ؛ أي في طلب جواره وقربه وهو الجنة ، وهذا معنى قول ابن الأعرابي : في قرب الله من الجنة[٣] .

وقال أبو إسحاق : معنى على ما فرطت في جنب الله ؛ أي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه ، وهو توحيد الله والإقرار بنبوة رسوله ﷺ[٤] ، وعلى هذا الجنب بمعنى الطريق ، والجنب بمعنى الجانب كثير ، والمعنى في الجانب الذي يؤدي إلى رضى الله ، وهذا الذي ذكرنا أوجه صحيحة موافقة اللغة[٥] .

قوله : ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ ؛ أي وما كنت إلا من المستهزئين ، قال مقاتل : يعني المستهزئين بالقرآن في الدنيا[٦] .

وقال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله[٧] ، وعلى هذا المعنى لمن الساخرين بأولياء الله .

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٩٠ .

(٢) انظر : قول الفرَّاء في تهذيب اللغة ١١/ ١١٧ ، ولم أقف عليه في معاني الفرَّاء .

(٣) انظر : قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة (جنب) ١١/ ١١٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ١١/ ١١٧ ، ومقاييس اللغة (جنب) ١/ ٤٨٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٧) أخرج ذلك الطبري : في تفسيره عن قتادة ، انظر : ١٢/ ١٩ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لقتادة ، انظر : ١٠/ ١١٧ب ، ونسبه البغوي ٧/ ١٢٩ لقتادة .

٥٧. قولــه تعــالى : ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ ؛ أي أرشــدني إلى دينه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك قاله مقاتل[(١)] .

٥٨. وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ ؛ أي رجعة إلى الدنيا ، ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ أي من الموحدين قاله ابن عباس[(٢)] ومقاتل[(٣)] ، وذكر الفرَّاء في نصب فأكون وجهين ؛ أحدهما : على الجواب للو ، والآخر : بالرد عــلى تأويل لو أن لي كرة ، وتأويله لو أن لي أن أكر ، ومثله قوله : ﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ﴾ [الشورى :٥١] ، وأنشد :

فَمَالَكَ مِنْهَا غيرُ ذِكْرَى وَحسْبَة وتَسْأَلَ عَنْ رُكْبَانِها أَيْنَ يَمَّمُوا[(٤)]

والمعنى إلا أن تذكر .

٥٩. قال الله تعالى : ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ أي يقال لهذا القائل : بلى ، قال أبو إســحاق : بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي ، ومعنى لو أن الله هداني ما هديت فقيل بلى[(٥)] ، وذلك أن الله -عز وجل- [من[(٦)]] طريق الهدى

---

(١) ذكر هذا المعنى المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٣٨٩ ، والقرطبي في الجامع ولم ينسبه ١٥/ ٢٧٢ ، وكذلك ذكره من غير نسبه الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٧١ ، ولم أقف عليه في تفسير مقاتل .

(٢) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ١٥٥ ، وكذلك ذكره البغوي في تفسيره ولم ينسبه ٧/ ١٢٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٣ ، وقد استشهد بهذا البيت الطبري ١٢/ ٢٠ ، والثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٨أ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٢٠ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٧/ ٤٣٦ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٧٢ . والشاهد منه : نصب : تسأل عطفاً على موضع الذكرى ؛ لأن معنى الكلام فمالك منها إلا أن تذكر . ولم أتوصل إلى قائله ، وفي بعض المصادر وحسرة بدل وحسبة .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥٩ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (بين) .

فالحجة له على خلقــه ، وهذا معنى قوله : ﴿ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى ﴾ . قال مقاتل : يعني آيات القرآن ، ﴿ فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ قلتَ إنها ليســت من الله ، ﴿ وَٱسْتَكْبَرْتَ ﴾ تكــبرت عن الإيمان[١] بها ، والقــراءة على التذكير في قوله : قد جاءتك وكذبت واســتكبرت وكنت ؛ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى فخوطب المذكر ، وروى الربيع بن أنس[٢] عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقرأ على التأنيث[٣] .

قال أبــو عبيد ولو صح هذا عن النبي ﷺ كان حجــة لا يجوز لأحد تركه ، ولكنه ليس بمسند ؛ لأن الربيع لم يدرك أم سلمة[٤] ، والآية على الأولى ولايعرف غيرها .

وقال الفرَّاء : التأنيث وجه حسن لأنه ذكر النفس فخاطبها[٥] .

وقــال المبرِّد : العرب تقول هو نفس واحد معناه إنســان واحد[٦] ، والجمع أنفس أكثره على التذكير ، يقولون ثلاثة أنفس ، قال الحطيئة :

ثــلاثــةُ أنـفــسٍ وثـلاثُ ذودِ لقد جــارَ الزمانُ عــلى عيالي[٧]

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٢) في (أ) و(ب) : (الربيع عن أنس) ، وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه .

(٣) أخرج ذلك الثعلبي عن الربيع بن أنس عن أم ســلمة . انظر : تفســيره ١٠/ ٨ب ، وكذلك عزا هذه القــراءة القرطبي في الجامع للربيع بن أنس عن أم ســلمة ، انظر : ١٥/ ٢٧٣ ، وقال ابن جرير : وقد روي عن رســول الله ﷺ أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس . قال : والقراءة التي لا أســتجيز خلافها قراءة الفتح . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١ ، وأشــار إلى هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٧/ ٤٣٦ .

(٤) ذكر ذلك الرازي في تفسيره ٢٧/ ٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٣ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ١٥/ ٢٧٣ .

(٧) انظــر : ديوانه ١٢٠ ، والجمل في النحــو للخليل ٢٧١ ،والكتــاب ٣/ ٥٦٥ ومجالس ثعلب ٣٠٤ ، =

وأكثر ما في القرآن من ذكر النفس على التأنيث كقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طـه :٩٦] ، و﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسـف :٥٣] ، و﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجـر :٢٧] ، وذلك أنه ليس المراد بالنفس في هذه الآيات الإنسـان ، ومعناه في هذه الآية الإنسـان ، فالتذكير بمعنى الإنسان ، ومن كسر فعلى مذهب من أنث النفس ، وكل جائز غير أن الناس على قراءة من قرأ بالتذكير .

٦٠. قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ؛ أي زعموا أن له شريكاً وولداً .

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ قال أبو إسـحاق : القراءة الرفع على الابتداء والخبر ، ويجوز النصب على البدل من الذين كذبوا على الله(١) .

وقال الفرَّاء : ترفع الوجوه ومسـودة ؛ لأن الفعل قد وقع على الذين ، ومثله قولك : رأيت عبدالله أمرُه مستقيم ، ولو نصبت على التذكير فقلت : رأيت عبدالله أمرَه(٢) مستقيماً ، كان جائزاً .

قال عدي بن [يزيد(٣)] :

ذَرِيْـني إنَّ أمْـرَكِ لَـن يُـطَـاعَـا ... ومَاَ أَلْفَـيْـتِـنيْ حِلْمي مُـضَاعا(٤)

= والخصائـص لابن جني ٢/ ٤١٤ ، واللسـان (نفس) ٦/ ٢٣٥ والذود من الإبـل ما بين الثلاثة إلى العشرة ويعني بثلاثة أنفس : نفسـه وزوجه وابنته مليكـة . وبالذود ثلاثاً من النوق كان يقوم بها على عياله ففقد إحداهما ، والشـاهد فيه : ثلاثة أنفس : حيث ذكر الثلاثة مع أن النفس مؤنثة ؛ وذلك لأنه حملها على معنى الشخص المذكر .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٦٠ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفرَّاء رأيت عبدالله مستقيماً أمره .

(٣) كذا في (أ) و(ب) والصحيح (عدي بن زيد) .

(٤) نسب الفرَّاء هذا البيت لعدي بن زيد ٢/ ٤٢٣ ، وكذلك نسبه الزَّجَّاج لعدي بن زيد ٤/ ٣٦٠ ونسبه سـيبويه لرجل من بجيلة أو خثعم ، والشاعر يقول لمن تعذله على إتلاف ماله : ذريني فلن أطيع أمرك فإن عقلي يأمرني بإتلاف المال في اكتساب الحمد ، وما عهدتني مضيع الحلم . انظر : الكتاب ١/ ١٥٦ .

فنصب الحِلْمَ والمُضَاعَ على التكرير ، ومثله :

ما للجمال مشيها وئيدا[١]

فخفض المشي على التكرير[٢] ، قال أبو علي : إن جعلت رأيت متعدِّياً إلى مفعولين كانت الجملة التي هي ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ في موضع نصب بكونها في الموضع للمفعول الثاني ، وإن جعلت رأيت بمنزلة أبصرت كانت الجملة في موضع الحال ، ولو أبدلت وجوههم من الذين ونصبت مسودة ، كانت على القول الأول مفعولاً ثانياً ، وعلى القول الآخر حالاً[٣] .

قوله : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ؛ أي عن الإيمان والتوحيد وربوبية الله تعالى . قاله ابن عباس[٤] ، وفسرنا مثل هذا في هذه السورة .

٦١. قوله تعالى : ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ ؛ أي من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ؛ أي الشرك قاله ابن عباس[٥] ، ومقاتل[٦] ، ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ المفازة : الفوز وهو الظفر بالخير والنجاة من الشر ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران :١٨٨] ، وقرئ بمفازاتهم[٧] ، قال المبرِّد :

---

(١) الرجز ينسب للزباء . انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤ ، وشواهد العيني على هامش الخزانة ١/ ٤٤٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤ .

(٣) انظر : المسائل الحلبيات لأبي علي ٦٣ .

(٤) ذكر الثعلبي : في تفسيره لفظ : عن الإيمان . ولم ينسبه ، انظر : ١٠/ ١٨ب ، وكذلك ذكره بهذا اللفظ البغوي ، ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٢٩ .

(٥) ذكر المؤلف هذا المعنى في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٥٩٠ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي : (بمفازاتهم) جماعة ، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم : ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ واحد ، انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ٩٧ ، والكشف لمكي ٦٢٤ ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ٢/ ٧٥١ .

المفازة مفعله من الفوز وهو السعادة[١] ، ومعناه المصدر ومفازة يعني عن مفازات ، وإن جمع فحسن كقولك السعادة والسعادات ، وقال الفرَّاء : كلاهما صواب تقول في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم وارتفع الصوت والأصوات[٢] .

وقال أبو علي : الإفراد المصدر ، ووجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناساً كقوله : ﴿ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [الأنعام :١٣٥] ، ومكاناتكم[٣] .

قال أبوعبيدة : بمفازتهم بمنجاتهم من الفوز[٤] ، والمعنى : ينجيهم الله بفوزهم ؛ أي فنجاهم وفوزهم بالجنة ، وهو معنى قول ابن عباس : فازوا بالجنة وزحزحوا عن النار[٥] ، وتأويله ينجيهم الله بما سبق لهم من السعادة والفوز ، وقال مقاتل وابن زيد : بأعمالهم الحسنة[٦] ، وهذا معنى وذلك أن الأعمال الحسنة هي سبب الفوز ففسروها بسببها .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ ﴾ ؛ أي العذاب عن ابن عباس ومقاتل[٧] ، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قال مقاتل : للموت[٨] ، وقال ابن عباس : لأنهم رضوا بالثواب[٩] .

---

(١) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ١٣٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٤ .
(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤ .
(٣) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ٩٧ ، وانظر : تفسير سورة الأنعام : آية ١٣٥ .
(٤) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٩١ وهي بلفظ : (بنجاتهم) .
(٥) لم أقف عليه .
(٦) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد . انظر : تفسيره ١٢/ ٢٢ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .
(٧) ذكر ذلك المعنى السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ١٥٦ ، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٥٩٠ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .
(٨) لم أقف عليه .
(٩) ذكر ذلك في الوسيط ولم ينسبه ٣/ ٥٩٠ .

٦٢. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ قال ابن عباس: لم يخرج شيء من الدنيا ولا من الآخرة عن ملكوته ولا من قدرته، يعني أن ما في الدنيا والآخرة فهو خالقه والقادر عليه[1]، وقال أصحابنا: هذا من العموم الذي لم يدخله تخصيص؛ لأنه يقتضي تعميم الأشياء التي تكون مخلوقة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ قال ابن عباس: حفيظ[2]، وقال مقاتل: وهو رب كل شيء من الخلق[3]، والمعنى أن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك، ونظير قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ قوله في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد:١٦]، وقد ذكر تفسيره.

٦٣. قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال أبو عبيدة: واحدها مقليد، وفيه لغة أخرى إقليد وأقاليد[4]، ويقال أيضاً: مقلاد ومقاليد مثل مفتاح ومفاتيح.

قال ابن عباس: يريد مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة[5].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر ذلك السمرقندي ولم ينسبه، انظر: تفسيره ٣/ ١٥٦.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤.

(٤) انظر: مجاز القرآن ٢/ ١٩١.

(٥) أخرج الطبري ١٢/ ٢٣ عن ابن عباس بلفظ: مفاتيحها، وذكر نحوه البغوي ٧/ ١٣٠ ولم ينسبه، وذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٩١ بنصه عن ابن عباس ومقاتل، قال وهو قول قتادة.

قال أبو إسحاق : وتفسيره أن كل شيء في السماوات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه[(١)] ، فالمقاليد على هذا تفسير المفاتيح التي يفتح بها ، وقال الليث : المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والأرض خزائنها[(٢)] ، وهذا قول الضحاك[(٣)] .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني : بالقرآن قاله مقاتل[(٤)] ، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ خسروا حين لم يعبدوا من له مقاليد السموات والأرض ، فصاروا إلى النار إذ عبدوا المخلوق لا الخالق ؛ لأن كل ما يعبدون فهو مخلوق لله .

٦٤. ثم أعلم أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده لا شريك له ، فقال : (قل) لهم بعد هذا البيان ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ قال مقاتل : وذلك أن كفار قريش دعوا النبي ﷺ إلى دين آبائه[(٥)] .

وقال أبو إسحاق : (أفغير الله) منصوب (بأعبد) لا بقوله : (تأمروني) والمعنى : أفغير الله أعبد أيها الجاهلون في ما تأمرونني[(٦)] .

قال أبو علي : أعبد غير الله في ما تأمروني ، وفي ما تأمروني وجوه من القراءات : تأمرونني بنونين وهو الأصل ، وتأمرونّي بنون مشددة على إسكان الأولى وإدغامها في الثانية ، وتأمروني بنون خفيفة على حذف إحدى النونين ، وينبغي أن تكون المصاحبة للضمير المنصوب ؛ لأنها قد حذفت في مواضع ، نحو فَلَيْتَنِي وإني وكأني وقدي ، وإنما قدرنا المحذوفة الثانية ؛ لأن التكرير والتثقيل بها

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٦١ .

(٢) انظر : كتاب العين (قلد) ٥/ ١١٧ ، وتهذيب اللغة (قلد) ٩/ ٣٢ ، ومفردات الراغب (قلد) ٤١١ .

(٣) ذكر ذلك ابن الجوزي عن الضحاك انظر : زاد المسير ٧/ ١٩٤ ، والشوكاني في فتح القدير عن الضحاك ٤/ ٤٧٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٦١ .

وقـــع ، ولأن حذف [الأول[1]] لحن لأنها دلالـــة الرفع[2] ، على ذلك يحمل قول الشاعر :

. . لا أباكَ تخوفيني[3]

وقولـــه : (أعبد) لا يجوز أن يكون التقدير فيه أن أعبد فلما حذفت أن ، ارتفع أعبد ؛ لأنه حينئذ يصير في تقدير الصلة لـ(أن) فلا يعمل في ما تقدم عليه ، وقد قلنا إن غير ينتصب بأعبد ولكنه عـــلى التقدير الذي ذكره الزَّجَّاج[4] أفغير الله أعبد ، وإن قدرت هو [التقديـــر[5]] نصبت غير بتأمروني ، ويكـــون المعنى : أتأمرونى بعبادة غير الله ، ويكون موضع أعبد وأن المضمرة نصب على تقدير البدل من غير كأنه : أبعبادة غير الله تأمروني ، إلا أن الجار حذف كما حذف من قوله :

أمرتك[6] الخير . . . .

---

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي الحجة : (الأولى) ، وهو الصواب .

(٢) انظر : الحجة ٦/ ٩٩ ، والكشف لمكي ٦٢٤ ، والإقناع ٢/ ٧٥١ .

(٣) البيت :

أَبِـــالْمُـــوَتِ الـــذي لابُـــدّ أني ـــــ مـــلاقٍ لا أبـــاك تُـخَـــوِّفيـنـــي

انظر : الحجة لأبي عـــلي ٦/ ٩٩ ، ١٠٠ ، والمقتضب ٤/ ٣٧٥ ، وقال أبو علي : حذف اللام من أبالك إنما يكون في الـــضرورة ، ولولا أنها في حكم التأنيث في اللفظ لما عملـــت (لا) ؛ لأنها لا تعمل إلا في نكرة ، انظر : المقتضب ٤/ ٣٧٥ ، وقد نسب البغدادي البيت إلى أبي حية النميري . الخزانة ٢/ ١١٨ ، وكذلك في اللسان نسب إليه . انظر : اللسان (أبي) ١٤/ ١١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٦١ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ويستقيم الكلام من دونها .

(٦) جزء من بيت لعمرو بن معدي كرب ، انظر : ديوانه ٣٥ ، وتتمة البيت :

أمـرتـك الخـير فـافـعل ما أمـرت بـه ـــــ فـقـــد تـركـتـك ذا مــــال وذا نـشـب

انظر : الكتاب ١/ ٣٧ ، والحجة لأبي علي ٢/ ٣٣١ ، والمحتسب ١/ ٥١ ، والمقتضب ٢/ ٣٥ ، والجمل في النحو للزَّجَّاجي ٢٨ ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٤٢ ، والمراد بالنشب : المال الثابت كالضياع ونحوها ، وقيل النشـــب : جميع المال ، والشـــاهد : حـــذف حرف الجر ؛ أي أمرتـــك بالخير . انظر : المقتضب ٢/ ٣٥ .

فصار التقدير بعد الحـــذف أغير الله تأمرني عبادتـــه ، فأضمر المفعول الثاني للأمر والمفعول الأول علامة المتكلم ، وأن أعبد بدل من غير ، ومثل هذا في البدل قولـــه : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف :٦٣] ؛ أي ما أنســـاني ذكره إلا الشيطان ، ذكر هذا كله أبو علي في كتابه[١] الحجة .

قال الأخفش : يريد أفغير الله أعبد تأمروني ، فاعترض تأمروني من الكلام ، وهـــذا كما تقول : هل ذهـــب فلان تدري ؟ على معنى في ما تـــدري[٢] ، وقوله : ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد الذين جهلوا عظمة الله وقدرته وجلاله[٣] .

٦٥. قولـــه تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ قـــال مقاتل : حـــذر الله نبيه أن يتبع دينهـــم[٤] ، فقـــال : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ قال ابن عباس : يريد لئن داهنت وراكنت ، وهذا أدب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وتهديد لغيره ؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك والمداهنة[٥] والركون ، قوله : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ تخصيص واحد ، وقـــد قـــال : ﴿إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ قال أبو عبيـــدة : مجاز هذا الأمريـــن اللذين يخبر عن أحدهما ويكون عن الآخر وهو في معناه[٦] ، يعني أن ذكر ما أوحي أن محمداً ﷺ يكف عن ذكر ما أوحي إلى غيره ؛ لأن المذكور يدل على المكفوف عنه ؛ لأنه هو المذكور بعينه ، هذا معنى

---

(١) انظر : الحجة ٦/ ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٥ .

(٥) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير : عن ابن عباس ، انظر : ٧/ ١٩٥ ، ونسبه المؤلف في الوسيط لابن عباس انظر : ٣/ ٥٩٢ .

(٦) انظـــر : مجاز القرآن ٢/ ١٩١ بلفظ مجازها مجاز الأمرين اللذيـــن يخبر عن أحدهما ويكف عن الآخر ، وهو داخل في معناه .

مـــا ذكره أبو عبيدة ، وفيه وجه آخر وهو : أن المعنى أوحي إلى كل نبي منهم لئن أشركـــت ، وهذا معنى قول الأخفـــش[١] ؛ لأنه قال لم يقل أشركتـــم لأن المعنى على الأول والثاني معطوف عليه فاســـتغنى عنه ، كما تقول : قيل لزيد وعمرو ليذهبـــن ؛ أي قيل لزيد ليذهبن ولعمرو ليذهبن ، فاســـتغنى قولك عمرو عـــن أن يقال فيـــه ليذهبن ما صار لزيد ، وذكر مقاتل وجهاً آخر ، فقال : أوحى إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيـــد[٢] ، وعلى هـــذا التوحيد يكون محذوفـــاً ، ودل عليه قوله : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ، ويكون خطاباً للنبي ﷺ خاصاً ، وقوله : ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ قال مقاتـــل : ليبطلن عملك الحســـن[٣] الذي كان قبل الشرك ، فإن قيل على هذا مذهب الشـــافعي أن ما عمل المرتد قبل ردتـــه لا يحكم ببطلانه حتى يموت على الردة[٤] ، وهذه الآية تدل على خلاف مـــا قال ؛ لأنه علق الحبوط بـــالإشراك ، والجواب عن هذا أن يقال : هذه الآية مطلقـــة ، وقد وردت آية أخرى ومقيدة بالموت وهي قوله : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة :٢١٧] ، ومذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد .

٦٦. ثم أمـــره بتوحيده ، فقال : ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ قال أبو إســـحاق : اللفظ بالله -عـــز وجل- منصـــوب بقوله ﴿فَٱعْبُدْ﴾ ، وهـــو إجماع في قول الكوفيين[٥] .

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٥ .

(٤) ذكر ذلك الشـــنفكي في أحكام الكتاب المبين ٢/ ٢٥٣ رسالة دكتوراه مقدمة من المحاضر/ سليمان بن عبدالعزيز الســـليمان ، وذكره القرطبي في الجامع ٣/ ٤٨ ، وابن العربي في أحكام القرآن ١/ ١٤٨ ولم أقف عليه عند الشافعي .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٦١ .

وأما الفاء في فاعبد قال أبو الفتح الموصلي : يقال زيداً فاضرب وعمرَ فاشكر ومحمـداً فامـرر ، وتقديره : زيداً اضرب وعمرَ اشـكر وبمحمـد امرر ، وعلى هذا قولـه : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر :٣] ؛ أي ثيابك طهـر ، وكذلك[1] ما بعده . قال ابن عباس : بـل الله فاعبد يعني فوحد[2] ، وقال الكلبـي : يقول أطع وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك[3] .

٦٧. قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ قال المفسرون : ما عظموا الله حق عظمته[4] ، وقد سبق الكلام فيه[5] .

قـال المفسرون : نزلـت في المشركين[6] حين أشركوا به غـيره وأمروا النبي ﷺ بعبـادة غيره ، ثم أخبر عن عظمتـه ، فقال : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قـال الزَّجّاج : جميعاً منصوب على الحـال ، المعنى والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة[7] .

ومعنى القبضة في اللغة : ما قبضت عليه بجميع كفك[8] .

أخـبر الله تعالى عن قدرته ، فذكر أن الأرض كلها مـع عظمتها وكثافتها في مقدوره كالتـي يقبض عليه القابض بكفه ، فذكرت القبضة وكان لا يقبض عليه

---

(١) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٠ .

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٧/ ١٩٥ ، وكذلك ذكره القرطبي ولم ينسبه ، انظر : الجامع ١٥/ ٢٧٧ .

(٣) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره ٣/ ١٥٦ عن الكلبي .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢٥ ، والماوردي ٥/ ١٣٤ ، والبغوي ٧/ ١٣٠ .

(٥) انظر : تفسير سورة الأنعام ٩١ ، والحج ٧٤ .

(٦) ذكر ذلك مقاتل في تفسـيره ٣/ ٦٨٥ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ١٠٢ ، وتفسير ابن كثير ٧/ ١٢٣ فقد نسب لمجاهد أنه قال : نزلت في قريش .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٦١ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (قبض) ٨/ ٣٤٩ .

تفهيماً لنا علـى عادة التخاطب في ما بيننـا ، وكذا قوله : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ ، فذكرت اليمـين للمبالغة في الاقتدار يعني أنه يطويها بقدرته[١] ، كما يطوي الواحد منـا الشيء المقدور له طيه بيمينه ، وقال الأخفش : بيمينه يقول في قدرته نحو قوله : ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النسـاء :٣٦] ؛ أي وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر[٢] الجسد[٣] ، وعلى هذا أنشد :

تلقاها عرابة باليمين[٤]

أي بالقوة والقدرة ، ثم نزَّه نفسه عن شركهم ، فقال : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

٦٨. قولـه تعـالى : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صعق معناه مات ومضى الكلام فيـه عند قوله : ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾

---

(١) هذا تأويل صفة اليد لله سـبحانه وتعالى وهو خلاف مذهب السلف ، وقد أورد ابن جرير الطبري في تفسيره أقوال المؤولين لصفة اليد ، ورجح مذهب السلف ، وهو : أنها صفة من صفاته هي يد غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم .
انظر : تفسير الطبري ٤/ ١٩٤ .
وقال شـيخ الإسـلام ابن تيمية بعد أن ذكر وجوب الإيمان بصفة اليد وعـدم تأويلها ، ونقل كلام المتقدمين من سلف الأمة : ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها ، فلو كان التأويل سـائغاً لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة . انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٥/ ٩٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٤ .

(٣) هذا تأويل لصفة اليد وهو خلاف مذهب السلف في آيات الصفات ، قال ابن كثير عند هذه الآية :وقد وردت أحاديث كثـيرة متعلقة بهذه الآية الكريمـة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السـلف :وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف ، انظر : تفسير ابن كثير ٦/ ١٠٧ .

(٤) هذا عجز بيت للشماخ وصدره :

إذا ما راية رفعت لمجد

انظر : ديوانه ٩٧ ، وتهذيب اللغة (غوب) ٢/ ٢٢١ ، والخصائص لابن جني ٣/ ٢٥٢ .

[الأعراف :١٤٣] ، ونحو هذا قال ابن عباس والمفسرون في تفسير صعق قالوا : مات من الفزع وشدة الصوت[(١)] .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «هم الشهداء متقلدو أسيافهم حول العرش»[(٢)] ، وهذا قول سعيد بن جبير[(٣)] وابن عباس[(٤)] .

وروى أنس عن النبي ﷺ ، قال : «هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت»[(٥)] وهذا قول مقاتل والسدي[(٦)] .

قال جابر : موسى ممن استثنى الله فلا يصعق وذلك بأنه قد صعق مرة[(٧)] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري فقد أخرجه عن السدي ١٢/ ٢٩ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٢٢ب ، وتفسير مقاتل ٣/ ٣٨٧ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٣١ .

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن أبي هريرة ، انظر : ١٢/ ٣٠ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، انظر : المستدرك كتاب التفسير ٢/ ٢٥٣ ، وأورده الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة ، انظر : الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣١٢ .

(٣) أخرج ذلك الطبري : عن سعيد بن جبير ، انظر : تفسيره ١٢/ ٣٠ ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره عن سعيد بن جبير ، انظر : ٢/ ١٧٥ ، ونسبه في الوسيط لسعيد بن جبير ، انظر : ٣/ ٥٩٤ .

(٤) أورد ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٩٥ ، ونسبه لابن عباس بلا إسناد . ونسبه المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٩٤ لعطاء عن ابن عباس بلا إسناد .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن أنس انظر : تفسيره ١٢/ ٢٩ ، وعزاه السيوطي في الدر للفريابي وعبد بن حميد نصر السجزي في الإبانة وابن مردويه عن أنس انظر : الدر المنثور ٧/ ٢٥٠ ، وانظر : كتاب التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ٢٨١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٧ ، وأخرجه الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ١٢/ ٢٩ ، ونسبه الماوردي في تفسيره للسدي ، انظر : ٥/ ١٣٥ ، ونسبه ابن الجوزي لمقاتل . انظر : زاد المسير ٦/ ١٩٥ .

(٧) أخرج ذلك الثعلبي عن جابر . انظر : تفسيره ١٠/ ٢٣ب ، وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر عن جابر . انظر : الدر المنثور ٧/ ٢٥١ .

وقال قتادة : الله أعلم [بِثُنْيَاهُ[(١)]] هذه الآية[(٢)] كقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [النمل :٨٧] ، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ يعني : نفخة البعث وهو قوله : ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ يعني : الخلق كلهم .

وقال مقاتل : فإذا هم قيام على أرجلهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى البعث الذي كذبوا به[(٣)] في الدنيا ، وعلى هذا المراد بقوله : فإذا هم قيام الذين ينكرون البعث والقول هو الأول .

قال ابن عباس : يريد جميع الخلق ينظرون قد بعثوا[(٤)] ، وهذا كقوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين :٦] ، روى أبو صالح عن ابن عباس : ينظرون ما يقال لهم[(٥)] .

٦٩. قوله تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال السدي والحسن : بعدل ربها[(٦)] ، وقال الضحاك : بحكم ربها[(٧)] ، والمعنى أنها كانت مظلمة

---

(١) كذا لفظها عند الثعلبي والقرطبي وعند ابن جرير ، قال قتادة : «قد استثنى الله ، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته» فلعله يكون المعنى «والله أعلم بما استثناه» .

(٢) ذكر ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢/ ٣١ ، ونسبه الثعلبي ١٠/ ٢٤أ ، والقرطبي ١٥/ ٢٨٠ لقتادة .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٧ .

(٤) قال القرطبي في الجامع : فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء . ولم ينسبه ، انظر : ١٥/ ٢٨١ ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير : فإذا هم يعني الخلائق . ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٩٧ .

(٥) قال الثعلبي : في تفسيره : ينظرون أمر الله تعالى فيهم . ولم ينسبه ، انظر : ١٠/ ٢٤/ أ ، وقال القرطبي في الجامع : ينتظرون ما يفعل بهم . ولم ينسبه ، انظر : ١٥/ ٢٨١ ، وقال البغوي في تفسيره : ينتظرون أمر الله فيهم . ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٣١ .

(٦) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن السدي ، انظر : ١٠/ ٢٤أ ، ونسبه الماوردي في تفسيره للحسن ، انظر : ٥/ ١٣٦ ، ونسبه البغوي في تفسيره للحسن والسدي ، انظر : ٧/ ١٣٢ ، ونسبه القرطبي في الجامع للحسن وغيره ، انظر : ١٥/ ٢٨٢ .

(٧) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن الضحاك ، انظر : ١٠/ ٢٤أ ، ونسبه القرطبي في الجامع للضحاك انظر : ١٥/ ٢٨٢ .

بالجور والظلم ، فلما أراد الله الحساب والمجازاة والحكم بين الخلق أشرقت بعدله وحكمه فيها ، ولما كان الظلم يسمى ظلمة ، كما روي في الحديث المرفوع : «الظلم ظلمات يوم القيامة»(١) جاز أن يسمى العدل نوراً على التناقض ، وقال آخرون : معنى النور هاهنا أن الله -عز وجل- يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية فإنه قال : يريد لا شمس ولا قمر قد بدلت الأرض غير الأرض إلى أرض فضة لم يعص الله عليها ، ومعنى هذا أن النور المذكور في هذه الآية ليس من نور الشمس ولا من القمر وهو نور يخلقه الله فتضيء به الأرض(٢) .

وقوله : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني : كتب الأعمال وهو قول مقاتل(٣) ، وفسرناه في سورة الكهف [آية :٤٩] .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد اللوح المحفوظ(٤) .

وقوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ قال ابن عباس : يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله : أن رسول الله ﷺ قال : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» . انظر : صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب ١٥ تحريم الظلم ٣/ ١٩٩٦ . وأخرجه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو . انظر : مسند أحمد ٢/ ٩١ ، ٩٥ ومن حديث أبي هريرة ٢/ ٤٣١ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي : في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٠/ ٢٤ ، وب ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥/ ٢٨٢ لابن عباس ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٩٤ ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٩٤ ، ونسبه الألوسي لابن عباس انظر : روح المعاني ٢٤/ ٢٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٨ .

(٤) ذكر ذلك القرطبي في الجامع عن ابن عباس . انظر : ١٥/ ٢٨٢ .

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٢٤ب عن ابن عباس ، ونسبه الماوردي ٥/ ١٣٧ ، والبغوي ٧/ ١٣٢ لابن عباس ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٨ لابن عباس .

وقال مقاتل: يعني الحفظة[١]، ويدل على هذا التفسير قوله: ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

٧٠. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ قال ابن عباس: يريد ثواب ما عملت[٢]، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ قال: يريد أي عالم بفعلهم لا أحتاج إلى كتاب ولا شاهد[٣].

٧١. قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ قال أبوعبيدة: زمراً جماعات في تفرق بعضها في إثر بعض، واحدها: زمرة[٤]، وأنشد للأخطل:

[شوقي[٥]] إليهم ووجداً يوم أتبعهم
طَرْفي ومنهم بجنبي كوكب زُمَرُ[٦]

قال مقاتل: يعني: أفواجاً كفار كل أمة على حدة.

قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ قال: يعني من أنفسكم[٧].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٨.
(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه. انظر: ٧/ ١٣٢، وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ: جزاء ما عملت من خير وشر. انظر: ٣/ ١٥٧.
(٣) ذكر ذلك البغوي: في تفسيره ولم ينسبه، انظر: ٧/ ١٣٢، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير بلفظ: لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد، وهو الصواب ولم ينسبه، انظر: ٧/ ١٩٨، وكذلك ذكره القرطبي بهذا اللفظ ولم ينسبه، انظر: ١٥/ ٢٨٣.
(٤) انظر: مجاز القرآن ٢/ ١٩١، وبلفظ: واحدتها زمرة، بدل واحدها.
(٥) كذا في (أ) و(ب)، وهو تصحيف والصحيح: (شوقاً).
(٦) انظر: ديوانه ٩٩.
(٧) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٨.

وقولــه : ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس : يريد ما أنزل الله على الأنبياء وما أمروا به من توحيد الله عز وجل[(١)] .

قوله : ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال مقاتل : يعني قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ [ص :٨٥][(٢)] .

٧٣-٧٤ . قوله تعــالى : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ كان من حق الكلام أن يكون فتحت بغــير واو حتى يكــون جواباً لقولــه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ كما كان في قصة ســوق الكفار ، واختلفوا في جواب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ قال أبو عبيدة : الجواب مكفوف عنه والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال عبد مناف في آخر قصيدة :

حتى إذا سلكوهم في [قتائدهم[(٣)]]

شلا كما تطردُ الجمَّالةُ الشُّرَدا[(٤)]

وقــال المبرِّد : الجواب محذوف عــلى تقدير حتى إذا كان كذا وكذا ســعدوا وصــاروا إلى الســعادة ، قال : وحذف الجــواب أبلغ عند العلــم[(٥)] ، وقال أبو

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٨ .

(٣) كــذا في (أ) و(ب) ، وعنــد الطبري وأبي عبيدة : (قتائدة) واللســان كذلك ، انظر : اللســان (جمل) ١١/ ١٢٥ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٩٢ ، وتفســير الطبري ١٢/ ٣٦ ، واللســان (جمل) ١١/ ١٢٥ ، والشاهد : حذف جواب إذا لتفخيم الأمر ، والتقدير : بلغوا أملهم ، أو أدركوا ما أحبوا وقتائدة : ثنية وقيل جبل بين المنصرف والروحاء ، والشل : الطرد ، والجمالة : هم أصحاب الجمال ، والشرد : جمع شرود أي من الجمال .

(٥) نقــل ذلك عن المبرِّد النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٢ ، والســمين الحلبــي في الدر المصون ، انظر : ٦/ ٢٥ .

إسحاق: والقول عندي أن الجواب محذوف على تقدير حتى إذا جاؤوها وكانت هذه الأشياء إلى قوله: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ دخلوها، فالجواب: دخلوها وحذف لأن في الكلام دليلاً[1] عليه، وقال الأخفش: الجواب قوله ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾ على إلغاء الواو، قال: وقد جاء في الشعر ما يشبه هذا وأنشد:

فإذا وذلك ياكُبَيْشَةُ لم يكنْ إلا توهمُ حالمٍ بخيالِ[2]

قال: يريد فإذا ذلك، وهذا مذهب أهل الكوفة يجوزون إدخال الواو زيادة[3]. وذكرنا هذا الخلاف في مواضع، قال أبوالفتح الموصلي: أصحابنا يدفعون هذا التأويل ولا يجيزون زيادة هذه الواو، ويرون أن الجواب محذوف على تقدير وقال لهم خزنتها صادفوا الثواب الذي [وعدوا به[4]]، ويقرأ وفتحت وكذلك ما قبله بالتخفيف والتشديد فحجة التشديد، قوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص:٥٠]، والتشديد يختص بالكثرة والتخفيف يصلح للقليل والكثير[5].

قوله تعالى: (طبتم) قال ابن عباس: طاب لكم المقام[6] يعني أن الملائكة يخبروهم بطيب مقامهم في الجنة إذا دخلوها، وقال مقاتل: إنهم قبل أن [يدخلوها الجنة[7]] يغتسلون بعين ماء، فيطيب الله بشرتهم فلا تغبر وجوههم ولا تشعث

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٦٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٣، واللسان (لمم) ١٢/ ٥٥١، والبيت: لتميم بن مقبل بن عوف.

(٣) ذكر ذلك النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٢، والسمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٢٥.

(٤) كذا في (ب)، وفي (أ): (وعدوا)، وفي سر صناعة الإعراب لأبي الفتح الموصلي: (الذي وعدوه). انظر: ٢/ ٦٤٧.

(٥) قرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبوعمرو: (فُتِّحت). بالتشديد، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف. انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ١٠٠.

(٦) ذكر ذلك البغوي عن ابن عباس انظر: تفسيره ٧/ ١٣٣، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لابن عباس انظر: ٧/ ٢٠١.

(٧) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب: (يدخلوا الجنة).

رؤوسهم ولا تشحب أبدانهم أبداً ، فذلك قوله[١] : (طبتم) ، وهذا المعنى مروي عن علي رضي الله[٢] عنه ، وقال قتادة : لأنهم قد طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة ، واقتص بعضهم من بعض لما كان بينهم فلما [ذهبوا[٣]] وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم فادخلوها خالدين[٤] ، قالوا قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ ؛ أي بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون : أرض الجنة[٥] ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ قال ابن عباس : نسكن منها حيث نشاء[٦] .

وقال أبو إسحاق : نتخذ منها من المنازل ما نشاء[٧] . وقال أبو إسحاق : نعم ثواب المحسنين[٨] .

٧٥. قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ قال أبو عبيدة : أطافوا بحفافية[٩] الليث : حف القوم سيدهم يحفون حفّاً إذا أطافوا به

---

(١) لم أقف عليه في تفسير مقاتل ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ونسبه لمقاتل . انظر : ٥/ ١٣٨ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن علي رضي الله عنه ، انظر : تفسيره ١٢/ ٣٥ ، وأخرجه عبدالرازق في تفسيره عن علي رضي الله عنه ، انظر : ٢/ ١٧٦ ، وأخرجه الثعلبي : في تفسيره عن علي رضي الله عنه ، انظر : ١٠/ ٢٥ب .

(٣) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير الثعلبي وزاد المسير : هذبوا ، وهو الصواب .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي عن قتادة ١٠/ ٢٥أ ، وزاد المسير عن قتادة ٧/ ٢٠٢ ، وتفسير الوسيط عن قتادة ٣/ ٥٩٥ .

(٥) لم أقف على نسبته لابن عباس ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة والسدي وابن زيد . انظر : تفسيره ١٢/ ٣٧ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لأبي العالية وأبي صالح وقتادة والسدي وأكثر المفسرين ، انظر : ٥/ ١٣٨ ، وقد ذكره الثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٠/ ٢٦ب ، والبغوي ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٣٤ .

(٦) لم أقف على نسبته لابن عباس ، وقد أخرج الطبري عن السدي ، قال : «ننزل منها حيث نشاء» انظر : ١٢/ ٣٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٤/ ٣٦٤ .

(٨) لم أقف عليه ، وقد أورده المؤلف في الوسيط بهذا اللفظ ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٥٩٥ .

(٩) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٩٢ .

وعكفوا[١] ، ومنه قوله : ﴿حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ والحفاف ما حف الشيء إذا أحاط به وجمعه [أحفية[٢]] . قال ذو الرمة :

لهـنَّ إذا أَصْـبَحْـنَ مِـنْه أَحِـفَـةً وَحِينَ يَـــرونَ اللَّيلَ أَقَبلَ جَائِيَا[٣]

لهن أي للجفان وأحفَّة قوم [استدار[٤]] حولها وحِفَافَا كل شيء جَانِبَاهُ .

ومنه قول طرفة :

كـأن جـناحَـيْ مِضْرحيّ تكنَّفا حِفَافَيْهِ شُكَّا في العَسِيْبِ بِمُسْرَدِ[٥]

قال ابن عباس : يعني محدقين بالعـــرش[٦] ، وقال الأخفش : (من) في قوله ﴿حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ أدخلت توكيداً كقولك ما بطأ بي من أحد[٧] .

قولــه تعــالى : ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ قال ابــن عباس : يريــد حيث دخل الموحدون الجنة[٨] ، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ بين الخلائق ناطق بالعدل .

---

(١) انظر : كتاب العين للخليل بن أحمد (حف) ٣/ ٣٠ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، وفي تهذيب اللغة (حف) ٤/ ٤ : (جمعه أَحِفَّةٌ) ، ولعله الصواب .

(٣) انظر : ديوانه ٦٦٠ بلفظ : ترون ، انظر : تهذيب اللغة (حف) ٤/ ٤ ، واللسان (حف) ٩/ ٥١ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) وفي تهذيب اللغة (أحفة أي قوم استداروا بها) ، تهذيب اللغة (حف) ٤/ ٤ .

(٥) انظــر : ديوانه ١٢ ، وتهذيب اللغــة (حف) ٤/ ٤ ، واللســان (حفف) ٩/ ٥٠ ، والشــاعر يصف ناحيتي عســيب ذنب الناقة ، والخفيف : صوت الشيء كالرمية ، انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٣٩٦ ، وشرح المعلقات العشر ٤٣ .

(٦) لم أقف على نســبته لابن عباس وقد أخرجــه الطبري ١٢/ ٣٧ عن قتادة والســدي ، وذكره الثعلبي ١/ ٢٦ب ، والبغوي ٧/ ١٣٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٠٢ بغير نسبة .

(٧) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٣ .

(٨) لم أقف عليه .

قولــه : ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس : تــم وعد الله لهم وتم شــكرهم لله(١) ، وعلى هذا أهل الجنة هم الذين قالوا الحمد لله رب العالمين(٢) ، وقــال قتادة ومقاتل(٣) : بدأ الله خلق الأشــياء بالحمد ، فقال : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعـام :١] ، فلــما أفنى الخلق وبعثهم وحكم بينهم واســتقر الفريقــان في الدارين ختم ذلك بقولــه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ .

* * *

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) ذكر ذلك الماوردي ٥/ ١٤٠ ، والبغوي ٧/ ١٣٤ ، وابن الجوزي ٧/ ٢٠٢ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ٣٨ ، وأخرجه الثعلبي ١٠/ ٢٦ب عن قتادة ، انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٩ .